دكتور أحمد سيد محمد

نقائض

ابن المعتز وابن المعز



دار المعارف

نقائض

ابن المعتز وابن المعز

من أدب الصراع بين الشيعة والسنة

تأليف

دكتور احمد سيّد محمد

أستاذ الأدب والنقد

ورئيس قسم اللغة العربية

بكلية التربية - جامعة عين شمس

الطبعة الثالثة

١٩٩٢



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج.م.ع

الإهداء

إلى صديقى . . .

وأستاذى . . .

الدكتور الطاهر أحمد مكى أجدد إهدائى

تحية حب وإعزاز وتقدير

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بيئة هذا البحث العراق ومصر فى فترة امتدت من منتصف القرن الثالث الهجرى حتى الربع الأخير من القرن الرابع الهجرى .

وهو يعالج قضية من قضايا الأدب العربى تنتمى إلى العصر العباسى الثانى فى إطار التقسيم الزمنى المعروف للأدب العربى ، وإلى الأدب المصرى أو العراقى إذا نظرنا إلى العامل الإقليمى والبيئة الجغرافية ، وإلى الأدب السياسى باعتبار أن المحرك له بالدرجة الأولى قضية سياسية ، وإلى الأدب العقائدى لأنه ارتبط بمذهب عقائدى ذى صبغة فلسفية ، ثم هو بعد ذلك أدب غنائى تلعب فيه النزعة الفردية دوراً مهما لأنه يمثل موقف شاعرين مختلفين فى الفكر والعقيدة حول موضوع واحد .

تلك سدى هذا البحث أما لحمته فهى مجموعة النصوص الأدبية التى بقيت من إنتاج الشاعرين عبد الله بن المعتز [1] وتميم بن المعز [2] ، ونقلت إلينا صورة من الصراع الشيعى السنى وأثره فى الشعر خلال تلك الفترة من التاريخ .

وفارسا هذه الحلبة من السباق لم يلتقيا إذ فارق أحدهما الحياة قبل ميلاد الآخرحوالى أربعين عاماً ، ولكن المعركة الدائرة بين الحزبين لم تنهها موقعة أو عدة مواقع فآثار الطعان التى خلفها المتحاربون السابقون لم تزل فى عصر الشاعرينَ دامية الجراح .

ومن ثم فإن الشاعر تميم بن المعز راح يفتخر بدولته الجديدة الفتية وينتصر لها ويصد عنها طعنات ابن المعتز التى أودعها صحائف الكتب وبطون التاريخ وسجل معارك الأدب ، وهو فى سبيل ذلك يفتخر ، وينتقص من قيمة مفاخر غريمه ، ويدافع عن أحقية أهله فى الخلافة ، ويناقش آراء خصومه .

---

(١) ٢٤٩ – ٢٩٦ هـ - ٨٦١ – ٩٠٨ م

(٢) ٣٣٧ – ٣٧٤ هـ - ٩٤٨ – ٩٨٤ م

وقد اقترن فى تاريخ الأدب العربى مصطلح النقائض بلون خاص من المباريات الأدبية اكتمل نضجها فى عصر بنى أمية على أيدى الفرزدق وجرير والأخطل والبعيث وغيرهم من شعراء عصرهم الذين جالوا جولة أو جولات فى ساحة المعركة الدائرة .

وإذا كان لهؤلاء الشعراء وعصرهم اليد الطولى فى وضع اللمسات الفنية الأخيرة لاكتمال شكل هذا الفن فإنه أصبح بشكله ومضمونه سمة من سمات الأدب فى العصر الأموى ، ولكن شكله استعير لمضامين أخرى ، وغدا أداة صالحة لاستثماره فى غير ما وضع له ، وذلك على أيدى الشعراء اللاحقين فى مختلف العصور .

ومن خلال دراستى شعراء العصر الفاطمى استوقفتنى عبارات فى ديوان تميم تشير إلى معارضته ابن المعتز ، فوليت وجهى شطر ديوان ابن المعتز لأرى تلك المعارضات ، ولاحظت حرص تميم على صَبِّغِهِ بعض أشعاره التى ناقض فيها خصمه بذلك الطابع الفنى الذى عرف بالنقائض فى الشعر العربى ، ولم يلتزم تماما بالجانب الشكلى فى كل ما كتبه ، ولكنه التزم – على الأقل – بجانب المضمون .

واستبان لى من معايشتى الفكرية للشاعرين أن ثمة خطاً فكرياً مميزاً لكليهما ، تجلى فى عدة قصائد جمعتُها من ديوانيهما ، وجعلتها محور دراستى وسميتها النقائض .

ومهدت لها بتحديد هُوية البحث ، وقارنت بين ألوان المباريات الفنية المختلفة ، ووضحت علاقة فن النقائض بأدب الصراع السياسى والمذهبى . وفى جانب آخر مضيت أتعرف على الشاعرين من خلال مذهبيهما حتى أستبين أصالة كل منهما فى نزعته العقائدية . ثم انتقلت إلى دراسة نصوص النقائض ، وتناولتها من جانبين هما :

المحتوى ، وفيه عرضت القضايا المثارة وموقف كل شاعر منها ، معرفاً بجذورها التاريخية أو الفكرية ، مجلياً حقيقتها بالقدر الذى يضئ موقف هذا الشاعر أو ذاك .

فتحدثت عن محك النزاع وهو الخلافة وبينت موقف الشاعرين من الخلافة ثم بينت وسائل تفاخرهما من فخر ذاتى إلى فخر بالانتماء إلى الأفراد أو الدولة ، وبعد ذلك فصلت القول فى طرائق الهجوم وشرحت أسلوب كل منهما فيه ، موازنا بين موقف كل منهما فى –هذه القضية – ومذهبه السياسى .

أما الجانب الثانى فخصصته لدراسة الشكل بكل أبعاده الفنية .

فتحدثت عن السمات العامة لهذه النقائض من حيث دوافعها ووسائلها ثم بينت موقف كلا الفارسين من هذه الموقعة ، وتحدثت عن وسائل التعبير الشعرى فى تلك النقائض من جوانب التجربة الشعرية والبناء الفنى والصورة واللغة والموسيقى . وذيلت البحث بمجموعة النصوص التى كانت محور الدراسة وألحقت بهما قائمة المراجع والمصادر التى استعنت بها من قريب أو بعيد ، لتعين من يتطلع إلى دراسة هذين الشاعرين أو جانب معين من حياتهما الفنية الخصيبة .

" وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب " .

د . أحمد سيد محمد

٦ ش المقريزى روكسى

تمهيد

مصادر البحث

تعددت مصادر هذا البحث مابين أدبية ونقدية وتاريخية وعقائدية ، وإن كان الفصل البين بين هاتيك المعارف الإنسانية متعذراً – ولا سيما فى كتب تراثنا العربى القديم –فلا تثريب علينا أن ننسب مصدراً بذاته إلى أحد تلك العلوم وأن نضيفه إلى الفن الذى اختاره مؤلفه ، وارتضاه ذوق معاصريه فى إطار تصنيف معارف زمانهم .

ولست محصياً هنا كل مصادر بحثى التى أفدت منها من قريب أو بعيد ، فلقد أعددت لذلك قائمة فى خاتمة المطاف ، وإنما أتناول أهم المصادر المباشرة التى أقمت عليها لبناته واستنتجت منها أحكامى سواء ما اتصل منها بالأدب – فن هذا البحث – أم غير الأدب من العلوم التى اعتمدت عليها فى ترتيب مادته أو تفسيرها ، أم الربط بين قضاياه المختلفة ، ولست دارساً مصادر البحث من حيث وضعها فى إطارها الفنى الذى تندرج فيه فلذلك ميدان آخر ، يضطلع به من يقوم بدراسة مصادر فن معين من الفنون كالأدب أو التاريخ أو غيرهما ، فيدرس هذا المصدر أو ذاك من حيث قيمته الأدبية أو التاريخية . أما دراسة المصدر فى بحث بعينه فينبغى أن يتجه إلى دراسة المصدر من خلال قضايا هذا البحث ، أو تقييم المصدر من تلك الزاوية تقييما يوضح لنا مقدار الثقة والاطمئنان إلى جملة الأحكام التى اعتمدنا عليه فيها فنحن نتعامل مع المصدر على مستويين :

أحدهما : عام يتجه إلى التعريف به وإلقاء الضوء على مختلف جوانبه لتحديد هويته وتبيان ملامح شخصيته .

والآخــر : خاص يتجه إلى التعريف به والحكم عليه من خلال قضية بعينها أو عدة قضايا . ومن ثم فإننا سنلاحظ أن نظرتنا إلى مصدر واحد قد تختلف من موضوع إلى موضوع آخر ، لأن مؤلفه ذاته قد تختلف مواقفه من قضايا عصره لأسباب عديدة ؛ فيتذبذب بين القبول والرفض ، والجهل والعلم ؛ والانتماء وعدم الانتماء ، وهو تبعاً لذلك أراد أو لم يرد ، عن عمد أو غير عمد – قد يجنح به هواه فى عرض قضية بذاتها فتبدو لنا فى غير ثوبها الحقيقى إذا ما جهلنا علاقة صاحب المصدر بموضوعه . والأمر يختلف تماماً إذا ما أدركنا حقيقة الصلة بينهما فعندئذ سنتعامل مع المصدر كاشفين عن وجه صاحبه الأقنعة المرئية والمستورة فيما يعالجه من قضايا ، فنتقبل قوله قبولا حسناً أو نقف منه على حذر .

ورحم الله أبا بكر الصديق الذى وضع بموقفه من قصة الإسراء والمعراج أصول هذه النظرية

---

(١) روى صاحب كتاب الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية حديثاً مفصلاً عن هذه الواقعة . وأسندها إلى مصادرها . أنظر ص ٤٤٩ وما بعدها .

فى المنهج العلمى ، فقد سئل – رضى الله عنه – عن رأيه فى حادثة الإسراء والمعراج ولم يكن قد سمع بها ، فقال : (أو قالها ؟ . فقد صدق) .

ولهذا عرف علماء البلاغة الخبر بقولهم : هو ما يحتمل الصدق والكذب لذاته . وهم بذلك بغضون النظر عن قائل هذا الخبر أو مصدره ، لأن هناك من المصادر ما لا يجوز معها يقيناً أو تأدباً القول بجواز الصدق والكذب فى أقوالها .

من هذا المنطلق حول أهمية دراسة المصادر وتحديد زاوية الحديث عنها أستطيع تناول مصادر بحثى مرتبة حسب أهميتها وعلاقتها بمختلف قضاياه .

ولما كانت سمة التحليل هى أبرز سمات منهج هذا البحث فإنه ارتبط بالنصوص الأدبية ارتباطاً وثيقاً .

وقد اعتمدت فى هذه النصوص على القصائد المثبتة فى ديوانى الشاعرين (ابن المعتز وتميم بن المعز) .

ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمى :

ينطبق على نصوص هذا الديوان ما قلته فى بحث سابق [1] من أن مصادر الأدب الشيعى تعرضت للإخفاء والضياع والإتلاف ، فماذا أصاب ديوان تميم من هذه العوالم ؟ وإلى أى مدى يمكن الاعتماد عليه فى دراسة قضية النقائض ، موضوع هذا البحث ؟؟ يقول الأستاذ محمد حسن الأعظمى محقق ديوان تميم :

(إن حياة الشاعر الأمير تميم بن الخليفة الفاطمى المعز لدين الله كانت تكتنفها ستور كثيفة من الغموض والكتمان بالرغم من أنه كان ابن خليفة وأخا خليفة من خلفاء الفاطمين) [2] .

ولكن هذا الغموض الذى اكتنف حياة الشاعر أو شطراً منها لم يلق بشعره فى زوايا النسيان فابن الأبار المتوفى ٦٥٨ هـ ، يخبرنا بأن شعر تميم مدون ، ومحاسنه كثيرة ، وتصرفاته بديعة ، وأن الحصرى قد نقل منه فى كتابه (زهر الأداب وثمر الألباب) كل نادر وعجيب [3] .

(١) عنوانه « التشيع بين الاعتناق والتأثير فى شعر عماره اليمنى » وهو بحث نشر بمجلة كلية الآداب بسوهاج (العدد الأول) عام ١٩٧٨م . ص ٤٣ وذكرت فيه عدة نماذج شرحت بها هذه الظاهرة.

(٢) مقدمة ديوان تميم ص ١١ . تحقيق محمد حسن الأعظمى بيروت ١٩٧٠م .

(٣) الحلة السيراء لابن الأبار جـ ١ ص ٢٩ تحقيق حسين مؤنس القاهرة ١٩٦٣م .

وإذا كان ابن الأبّار – وهو قريب العهد بالشاعر يخبرنا – بأن شعر تميم مدون فإن أحد الدارسين المعاصرين يؤكد أن شطراً من شعره ما يزال مفقوداً ، ميرراً ذلك بأنه ليس من المعقول أن تخلو حياته الأولى من الشعر ، والذى يتأمل ما حواه ديوانه من أشعار يجدها أشعاراً مصرية تحكى لنا حياة الشاعر فى مصر ، وقد دخلها مع أبيه وعمره ستة وعشرون عاماً ، وفى الوقت نفسه لا نرى فيها ظلا لحياة الشاعر قبل قدومه مصر (١) .

ولا أستبعد أن يكون شطر من شعر تميم ما يزال مفقوداً ، فهو كغيره من كتب الأدب الشيعى التى تعرضت للعوامل السالفة الذكر ، وأن الغموض الذى اكتنف حياة الشاعر لم يقتصر على جانب دون آخر ، فحياته الفنية أصابها الغموض الذى أصاب حياته فى جملتها ، ولا سيما الفترة التى سبقت مجيئه إلى مصر .

وعلى الرغم من ذلك كله فإن ما بقى من أشعار تميم ، وحفظته الأيام بين دفّتىْ ديوانه يكفى لتصوير موقفه من قضية الصراع الشيعى السنى ، فمعظم قصائده مديح فى أبيه وأخيه العزيز ، ومن خلال هذا المديح راح يفتخر ، ويرد مفاخر خصومه ، ويردد آراء أهله وذويه فى قضية الإمامة .

وقد أكد هذه الظاهرة معظم الدارسين قدامى ومعاصرين ، من أمثال الثعالبى فى اليتيمة ، والباخَرْزِى فى الدمية ، وابن خلكان فى الوفيات ، والحموى فى معجم الأدباء ، وابن فضل الله العمرى فى المسالك ، والمقريزى فى الخطط ، والسيوطى فى حسن المحاضرة ، ومحقق الديوان فى العصر الحديث .

ومع التسليم باحتمال فقدان شىء من شعر تميم ، ومع التصديق بأن شعره فى ديوانه لا يمثل مرحلة من حياته فإن ما بقى من شعره أطمئن إليه كماً وكيفا فى تصوير قضية هذا البحث .

فمن حيث الكم تبرز أسباب سياسية وفنية تؤكد لنا أن إنتاج الشاعر – فى المرحلة التى يحتمل فيها ضياع إنتاجه الشعرى – إنتاج قليل إذا قارناه بما أنتجه فى المرحلة التى سلم فيها شعره من الضياع .

---

(١) تميم بن المعز لدين الله الفاطمى د . حفنى شرف ، ص ٨٦ ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة ١٩٦٧م .

وأهم هذه الأسباب :

١ - النضج الفنى الذى تأثر بعوامل النضج الفكرى والنمو العقلى ، ولا شك أن اطلاع الشاعر على آثار ابن عمه عبد الله بن المعتز ، وقدرته على معارضته ارتبطت بنموه العقلى ، وإنما حدث ذلك فى الفترة التى عاشها الشاعر فى مصر ، وهى الفترة التى بقى لنا من إنتاجه فيها القدر الوفير .

٢ - نفوذ الخلافة الفاطمية واتساع حدودها ، فقد صحب هذا النفوذ السياسى نشاط علمى وانتشار فكر وعقيدة غمرت الحياة الثقافية فى بيئة الشاعر فنهل منها ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وانعكست فى شعره على اختلاف أغراضه .

٣ - صلة الشاعر بأبيه وأخيه ، وهى صلة تقوم على المودة والحرص على وشائج القربى ، ومقابلة المعروف بالثناء الجميل ، وقد تضمن هذا الثناء الفخر بنويه ، ورد مفاخر خصومهم ، وبيان أحقيتهم فى الخلافة ، ومناقضة دعوى أعدائهم أو منافسيهم .

ومن حيث الكيف فإن مجموعة القصائد التى تمثل موقف الشاعر من قضية خصومته من ابن المعتز وما ارتبط بها من مواقف أخرى قد محصتها يد أمينة توفرت لها أسباب الثقة وعناصر اليقين .

فمصادر الأدب وغيرها المنسوبة إلى عصر ما قبل التدوين أو بعده اعتمدت على النسخ من مخطوطة إلى أخرى ، وفى النسخ يحدث التصحيف والتحريف والخطأ كما يحدث التغيير والتزييف ، ومهمة الكشف عن ذلك تقع على كواهل المحققين . والباحث المنصف متى خامره الشك - استنادا إلى مصادره العلمية - فى مصدر أصيل من مصادر بحثه ، وجب عليه توثيق مصدره قبل الشروع فى دراسة موضوعه . وثقتى فى سلامة تحقيق ديوان تميم تعتمد على الأسس التالية :

١ - وفرة المصادر والمراجع التى تجمعت لدى محققه فقد تجمعت بين يديه ، كما يقول : ثروة من الكتب الفاطمية النادرة القيمة جمعها من الشرق والغرب ، ومن بينها ثمانى مخطوطات لديوان الأمير تميم بن الخليفة المعز لدين الله الفاطمى .

٢ - قدرة المحقق على الاضطلاع بتحقيق هذا الديوان ، فقد نشأ المحقق فى بيئة يكثر فيها معتنقو المذهب ، ولا سيما مذهب الطائفة الاسماعيلية التى ينتمى إليها الشاعر ، وقد تبحر المحقق فى دراسة هذا المذهب والإلمام بأصوله ، ونهل هذا العلم من مصادره الأصلية سنوات طويلة

وتنقل فى أرجاء البلاد يدرس ويستنسخ ما فى المكاتب من مصنفات ومؤلفات فاطمية : دينية وتاريخية وغيرها .

٣ – حرص المحقق على صحة الديوان ، ولنا أن نتوقع أبعاد التعصب المذهبى الذى يسود عادة بين أبناء الطائفة الواحدة فى حرص المحقق على سلامة وصحة ما أورده فى الديوان وما علق به فى حواشيه شارحا أو مفسرا .

ومتى توفرت لعمل ما عناصر الحرص والقدرة ووفرة الوسائل اكتملت له عوامل الوثوق به والاطمئنان إليه .

ديوان ابن المعتز :

عاش ابن المعتز حياة أدبية خصبة ، خلفت تراثا متعدد الألوان مختلف الأغراض ، فله مجموعة كبيرة من القصائد تكون ديوانه (١) وله أرجوزة تاريخية تحدث فيها عن سيرة الخلفاء العباسيين وأحداث عصره وأعرب فيها عن موقفه من تلك الأحداث ، وهى إلى النظم أقرب منها إلى الشعر فى شكلها الفنى ، ولعل قيمتها التاريخية أعظم من قيمتها الفنية ، ولابن المعتز إنتاج نثرى يفوق فى حجمه إنتاجه الشعرى ، قسمه إلى أغراض ثلاثة ، وتحدث عن كل غرض منها بشىء من التفصيل أحد الباحثين المعاصرين (٢) .

وفى شعره الذى بقى لنا نطالع صورة واضحة لفترة زمنية حافلة بالأحداث ومذهباً فنياً مكتمل المعالم يميز شخصية صاحبه ، وموقفاً سياسياً مرتبطاً بمذهب عقائدى أملى على شاعرنا خصومة العلويين ، وسنرى أن هذه الخصومة تذبذبت بين الرفق والعنف ، والحدة والاعتدال استجابة للمؤثرات المختلفة ، ومن ثم رأينا فى ديوانه قصائد بأكملها تعالج موقفه من تلك الخصومة بأسلوب مباشر وأجزاء من قصائد أخرى يعرِّض فيها بالخصومة من خلال غرض آخر كمفاخره بنفسه وقومه ومدائحه خلفاء العباسيين .

ومهما يكن من أمر فإن مجموعة الأشعار التى هاجم فيها الطالبيين وحواها ديوانه تكفى لتصوير موقفه ، ونطمئن إليها فى رسم تلك الصورة وذلك للأسباب التالية :

أولاً : لم يتعرض شعر ابن المعتز للعوامل التى تعرض لها إنتاج شعراء الشيعة التى

---

(١) جمعه الصولى وحققه أحد الدارسين بكلية آداب عين شمس بإشراف الأستاذ الدكتور ابراهيم عبد الرحمن .

(٢) ابن المعتز العباسى د . أحمد كمال زكى ص ٢٦٥ وما بعدها سلسلة أعلام العرب .

أشرت إليها سلفاً ، فلم تلعب (التقيَّة) دورها فى إخفاء نتاج شاعر سنى كابن المعتز أو غيره كما فعلت مع بعض شعراء الشيعة الذين أخفوا من شعرهم ما يصور بعض معتقداتهم ، ولم تمتد أيدى الشيعة لإحراق أو إتلاف نتاج أهل السنة بحجة أنها تحمل فى طياتها الكفر والضلال ، وكل ما يمكن تصوره فى هذا الصدد أن عوامل التلف التى أصابت تراث ابن المعتز من قبيل ما أصاب التراث العربى بأكمله خلال النكبات العامة التى حلت بالتراث العربى ، وقد أفقدتنا هذه النكبات تراثاً ضخماً ، ولنا أن نتصور أن شيئاً من ذلك أصاب شعر ابن المعتز . وإذا لاحظنا أن شاعرنا كان ثرى الإنتاج ، وأن عصره حفل به فانتشر شعره فى أمهات الكتب المختلفة المناهج والأغراض ، فلا شك أن هذا الانتشار أصبح حصناً لتراثه الذى وصل إلينا منه القدر الوفير .

ثانياً : ودع ابن المعتز حياته ومشارف القرن الرابع الهجرى تطل على العالم الإسلامى والعربى وهذا القرن هو أزهى عصور الحضارة العربية بإجماع الدارسين (١) .

وربما لم يحفل عصر من العصور بوفرة الكتاب المقتدرين مثل ما حفل عصر ابن المعتز فلم يكد عصرا الجاحظ وابن قتيبة ينتهيان حتى برز لفيف من كبار كتاب العرب الذين عاصرهم الشاعر وكانت علاقته وثيقة بهم من أمثال الصولى ، وأبى الفرج الأصفهانى وابن جرير الطبرى وغيرهم (٢) .

وقد روت كتبهم شطراً من حياته وسجلت العديد من تراثه النثرى والشعرى ، وحللوا بعضه بمقياس عصرهم ومنظار زمانهم .

ثالثاً : ارتبط تاريخ ابن المعتز ميلاداً ونشأة وحياة سياسية وحياة فنية ارتباطاً وثيقاً بتاريخ الخلافة العباسية فى مرحلة تموج بالأحداث التى شدت أنظار المؤرخين ، وكان للصراع الفكرى والحربى بين العباسيين والطالبين نصيب من تلك الأحداث ، وسطر شعر ابن المعتز جانباً من هذا التاريخ إذ وقف ذاباً عن عرش أسرته مدافعاً عن بقائها ، فراح يشنها حرباً على العلويين راضياً أو مجاملاً أو مكرهاً وكان لهذا الارتباط أثره فى بقاء شعره وصحته وسلامته .

مصادر أخرى :

وإلى جانب المصدرين الرئيسيين اللذين درستهما تفصيلاً فهناك مصادر أخرى تتصل بهما ،

---

(١) راجع الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى . ادم متز ، (مترجم) القاهرة ١٩٥٧م .

(٢) يقول الحصرى عن شعر ابن المعتز « كان لأبى العباس عبد الله المعتز المنصب العالى من الشعر والنثر والغاية فى إشراق ديباجة البيان ، ورقة حاشية اللسان » . زهر الآداب وثمر الألباب لأبى اسحق ابراهيم بن على الحصرى القيراوانى جـ١ ص ١٧٦ ط دار إحياء الكتب العربية القاهرة ١٩٥٣م .

وهى إما تاريخية وإما عقائدية وإما نقدية .

وليس ثمة مجال لتفصيل القول فيها فهى مصادر مُعينة أو ثانوية وصلتها غير مباشرة بالأدب ، ويطول التمهيد لهذا البحث لو استطردت فى الحديث عنها ، ولها مجالات أخرى قد تكون أنسب من هذا المجال .

واطمئنانى إلى الأخذ من تلك المصادر يرجع إلى التحرى وحسن الاختيار . فاستعنت - فيما احتجت إليه من الوقائع التاريخية - بكتابات المؤرخين المعاصرين لهذا الحدث أو ذاك مع الأخذ فى الاعتبار موقفهم من قضايا عصرهم .

وأما كتب العقيدة . فمعظم ما أشار إليه ابن المعتز فى شعره يتصل بأخبار وحوادث مرجعها كتب السنة ، ووجدت فى السيرة النبوية لراويها ابن هشام مصدراً شافياً فى تحقيق ما ورد فى ديوانه .

أما مصادر العقائد الإسماعيلية فقد استعنت بما كتبه عالمان عربيان مدققان هما الدكتور / محمد كامل حسين والأستاذ محمد حسن الأعظمى ، ولكليهما مكتبة تضم العديد والنادر من هذه الكتب ، ومؤلفات متخصصة تتسم بالأصالة والجدية ودقة التحقيق . وعالم أوربى هو الدكتور (برنارد لويس) الذى قدم بحثاً علمياً دقيقاً عن أصول الاسماعيلية .

الفصل الأول

أدب النقائض بين الشكل والمضمون

- فنـــــون المباريـــــات الأدبيـــــة .
- النقائض وأدب الصراع السياسى والمذهبى .

فنون المباريات الأدبية

عرف تاريخ الأدب العربى – ولا سيما الشعر – ألواناً متعددة من المباريات الفنية ، اختلفت مدلولاتها ومضامينها باختلاف العصور والمؤثرات .

وقد خلف الأدب الجاهلى – الذى يمثل البداية الناضجة لتاريخ الأدب العربى – نماذج من تلك المباريات ، كالمفاخرات فى الشعر ، والمنافرات (١) فى الخطابة . ثم شهدت العصور الإسلامية نماذج أخرى مع اختلاف المسميات والاتجهات والمؤثرات ، بدأت هادئة مع الإشادة بالدعوة الإسلامية والرد على خصومها ، ثم أذكت نارها الصراعات الحزبية فى عصر الأمويين ، وتطاير شرارها فى كل صوب إبان خلافة العباسيين ، وامتطى فرسانها خيول الأدب السياسى والنقائض والصراع المذهبى والشعوبية ، وفى كل منها تشابكت عناصر الصراع الفردى والقبلى والسياسى والدينى والعنصرى والمذهبى تشابكاً يصعب معه نسبة هذا التيار أو ذاك إلى سبب بعينه ، وإن بدا فى بعضها غلبة سبب أو آخر ظهر بصورة أوضح من غيره .

وإذا كانت دوافع الغلبة لنصرة الرأى أو العقيدة أو الكسب المادى قد أثمرت نماذج معينة من ألوان المباريات الفنية فإن دوافع فنية خالصة أو هى أقرب إلى ذلك – دفعت بعض الشعراء إلى لون آخر من تلك المباريات غلب عليها السباق فى الجانب الفنى .

ومن العسير حقاً أن نحظى بتفرقة دقيقة بين المفاهيم المختلفة للمباريات الأدبية. فالذى يقلب دواوين شعراء العرب ويتابع أحاديث النقاد والدارسين قدامى ومحدثين ، لا يكاد يفرق بين " المساجلات ، والمعارضات والمطارحات ، والنقائض " .

وربما كان فن النقائض وحده الذى حظى بهذا التحديد لتميزه فى العصر الأموى وارتباطه بأسباب سياسية واجتماعية وجهت أنظار القدامى والمحدثين له فقننوا أصوله وقواعده ، كما نالت

---

(١) كانت المفاخرة غرضاً من أغراض الشعر والخطابة معاً فى الجاهلية والإسلام وفيها يعدد الشاعر مآثره الحميدة أو مآثر قبيلته . أما المنافرة : فهى مفاخرة فيها تحكيم . قال أبو عبيدة : المنافرة أن يفتخر الرجلان كل واحد منهما على صاحبه ثم يحكمان رجلا بينهما كفعل علقمة بن علاثة مع عامر بن الطفيل حين تنافرا إلى هرم الفزارى . راجع لسان العرب مادة (نفر) .

ويختلط الشعر بالخطابة فى المنافرات ، ولكن المفاخرة قد تكون شعراً خالصاً ، ولذلك آثرت اسناد المفاخرة إلى الشعر والمنافرة إلى الخطابة . وقد ذكر القلقشندى فى كتابه صبح الأعشى عدة نماذج لكلا الفنين .

راجع : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا للقلقشندى . جـ ١ ، ص ٣٧٢ وما بعدها .

المعارضات بعض الاهتمام لكثرة تداولها فى دواوين الشعر وكتب النقد والأدب ، ومع ذلك تظل المشكلة قائمة ؟ فالمصطلحات متداخلة ويصعب على دارس الأدب العربى أن يدرج قصيدة معينة تحت إطار محدد من هذه الأطر دون الأخرى . ولعل هذه الصعوبة ترجع إلى طبيعة التكوين الفنى لقصائد المباريات ففى معظمها يشترك عنصر أو أكثر ، وإلى عدم اهتمام الدارسين بهذه التفرقة .

والذى يتمعن فى تحديد المعاجم العربية لاستعمال تلك المصطلحات يدرك أن ثمة فوارق يمكن الاعتماد عليها فى تحديد مدلولاتها الأدبية والنقدية .

فالمساجلة : مأخوذة من السَّجْل ، وهى الدلو الملأى ، وساجل الرجل : بَاراَه وأصله فى الاستسقاء ، والمساجلة المفاخرة بأن يصنع مثل صنيعه فى جرى أو سقى . قال الفضل ابن عباس بن عتبة بن أبى لهب :

من يُسَاجلنى يساجلْ مَاجِداً　　　يملأ الدَّلو إلى عقد الكربْ

قال ابن برى : أصل المساجلة أن يستقى ساقيان فَيُخرج كل واحد منهما فى سجله مثل ما يخرج الآخر فأيهما نكل فقد غلب ، فضربته العرب مثلا للمفاخرة . فإذا قيل : فلان يساجل فلاناً فمعناه أن يخرج من الشرف مثل ما يخرج الآخر فأيهما نكل فقد غلب وتساجلوا أى تفاخروا . . . وفى حديث بن مسعود : افتتح سورة النساء فسجلها أى قرأها قراءة متصلة من السَّجْل أى الصب يقال سَجَلْتُ الماء سَجْلاً إذا صببته صباً متصلا " (١) .

من هذا يتبين أن لكلمة المساجلة استخدامين أحدهما فى المفاخرة ، والآخر فى التتابع ، وكلاهما يجب أخذه فى الاعتبار عند تحديد المضمون الأدبى الذى يندرج تحت هذا المصطلح من بين قصائد المباريات الفنية ، ولابد أن تراعى فى تلك النماذج غلبة عنصر المفاخرة وتتابعها .

أما المطارحة : فهى الرمى ، قال ابن سيده : وأراه مولدا ، والأطروحة المسألة تطرحها ومطارحة الكلام معروف " (٢) ، فالمطارحة أشبه ما تكون بالمناظرة فهى تعتمد على الحجج والمنطق وجانب العقل فيها أوضح من العاطفة ولا تجنح فى أسلوبها إلى الحدة التى قد تثيرها العاطفة فى موقف المفاخرة مثلا ، وموضوعها أوسع من المفاخرة التى يكون للذات وما يتصل بها النصيب الأوفر فيها ، وربما كان النثر أرحب باباً لها من الشعر .

---

(١) لسان العرب مادة « سجل » .

(٢) لسان العرب « طرح » .

والمعارضة : " المقابلة . وفلان يعارضني أي يباريني وفي الحديث أن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة ، وأنه عارضه في العام مرتين . قال ابن الأثير : أي كان يدارسه جميع ما نزل من القرآن . من المعارضة المقابلة ، وعارضه في السير سار حياله وحاذاه ، وعارضته بمثل ما صنع أي أتيت إليه بمثل ما أتى . وفعلت مثل ما فعل " (١) ، فالمعارضة مباراة فنية تنبعث من عواطف صادقة لكنها غير مجموعة ولا متوترة ، وهي لا تقتصر على غرض بعينه من أغراض الشعر . وهدفها إبراز قدرة المعارض فنياً والإدلاء بمواهبه في صناعة الشعر ، ومن ثم فإنه يغلب عليها الاتجاه إلى الشكل أو الجانب التعبيري بكل وسائله الفنية ، وإذا اتجهت إلى الفكرة فإن هدف المعارضة لا ينصب على إبطالها وإظهار فسادها ، وإنما ليعبر عنها بصورة أخرى قد تبدو أدق أو أشمل أو أعمق .

وإذا أمكن أن نجعل أغراض الشعر تحت غايتين هما : النفعية والفنية ، مع تعذر الفصل بينهما : فإن المعارضة إلى الغاية الثانية أقرب سبيلا . فهي وإن تناولت الفخر والمديح والهجاء فقد أكثرت من تصوير المناظر الطبيعية ووصف الحالات الشعورية ، فالمعارضة لون من المحاكاة لعمل فني جيد اشتهر به صاحبه أو استحسنه المعارض وأراد أن يجاريه ، وهو في مجاراته يأمل أن يفوز بقصب السبق دون حقد أو مرارة، ودون خوف أو اضطراب ، بل يبدو الحب والإعجاب مسيطرين على روح المباراة .

وقد فرق الأستاذ أحمد الشايب بين المعارضة والنقيضة بقوله : " المعارضة في الشعر أن يقول الشاعر قصيدة في موضوع ما ، من أي بحر وقافية ، فيأتي الشاعر الآخر فيعجب بهذه القصيدة لجانبها الفني وصياغتها فيقول قصيدة من بحر الأولى وقافيتها ، وفي موضوعها أو مع انحراف عنه يسير أو كثير ، حريصاً على أن يتعلق بالأولى في درجته الفنية أو يفوقه دون أن يتعرض لهجائه أو سبه ودون أن يكون فخره صريحاً علانية . . . فالمعارض يقف من صاحبه موقف المقلد المعجب أو المعترف ببراعته . ومناط المعارضة هو الجانب الفني وحسن الأداء وليس هذا التساب القبيح ، ولا يلزم أن يكون المتعارضان متعاصرين بخلاف المناقضة في ذلك ، وإن اتفقا في وحدة البحر والقافية ثم الموضوع غالباً ، وفي أنهما فنّا المنافسة بوجه عام " (٢) .

ونالت النقائض اهتمام الحكام والجماهير والشعراء والنقاد والدارسين منذ العصر الأموي ،

---

(١) المرجع السابق . مادة « عرض » .

(٢) تاريخ النقائض في الشعر العربي ، أحمد الشايب ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٦ ، ص ٦ .

فإن التحول السياسي والاجتماعي الذي شهده ذلك العصر ترك آثاره الواضحة في هذا الفن . فلم تعد للشاعر حريته في اختيار القالب الذي يصوغ فيه مفاخره إذْ فرضت عليه البيئة الفنية الجديدة المبارزة بنوع السلاح الذي يستخدمه غريمه . كما تغير أسلوب المعركة ، لأنه كان يمارس نشاطه في الفخر دون أن يخصص له عملا مستقلا ، فلا تثريب عليه أن يتغزل ويفتخر ويهجو ويرد على خصومه وينطلق إلى غايات أخرى ، أما اليوم فقد أصبح عمله موجهاً إلى غاية بعينها في إطار حدد له أو فرض عليه ، وهكذا اكتمل في العصر الأموي البناء الفني للنقائض .

ولعل أقدم ناقد عربي اهتم بهذا الفن هو " أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى " الذي جمع في أوائل القرن الثالث الهجري نقائض جرير والفرزدق . وفي القرن الثالث أيضاً جمع الشاعر أبو تمام نقائض جرير مع الأخطل ، وفي العصر الحديث نشر المستشرق " أنتوني اشلي بيفان " Antony Ashley Bevan نقائض جرير والفرزدق عام ١٩١٢ م ، ثم تلاه مستشرق آخر فنشر نقائض جرير والأخطل عام ١٩٢٢ م ، وكان للدكتور طه حسين الفضل في بعث هذا الفن في جامعاتنا المصرية منذ اهتم بتدريسه إبان العقد الثالث من هذا القرن (١) ، وتابع أحمد الشايب رسالة أستاذه الدكتور طه حسين وأعد بحثاً (١٩٤٦ م) ، يعتبر أفضل محاولة لتأريخ فن النقائض ، ثم تتابعت جهود الدارسين في هذا الميدان (٢) .

والنقائض : جمع نقيضة ، مأخوذة في الأصل من نَقْضَ البناء والحبل إذا حلَّه . والمناقضة في القول أن يتكلم بما يناقض معناه ، والمناقضة في الشعر أن ينقض الشاعر الآخر ما قاله الأول حتى يجيء بغير ما قال (٣) ، والأصل في المناقضة أن يتجه شاعر إلى آخر – أو عدة شعراء – هاجياً أو مفتخراً فيرد عليه خصمه هاجياً أو مفتخراً ملتزماً البحر والقافية والروي التي اختارها الشاعر الأول ، فلابد فيها من وحدة حركة الروي وإن اختلف في بعض النقائض (٤) .

وقد استخدم المؤرخون والنقاد والشعراء القدامى مصطلح النقائض . فابن هشام راوي

---

(١) راجع إهداء كتاب تاريخ النقائض في الشعر العربي ، أحمد الشايب ، مرجع سابق .

(٢) قدم دارس عراقي بحثاً في التناقض نال به درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة وعرض الدكتور عبد العزيز الكفراوي ١٩٥٨م . دراسة عن فن النقائض من خلال بحثه « جرير ونقائض من شعراء عصره » .

(٣) راجع لسان العرب والقاموس المحيط ، مادة « نقض » .

(٤) تاريخ النقائض في الشعر العربي ، أحمد الشايب ، مرجع سابق ، ص ٣ .

السيرة النبوية يطلق هذا المصطلح على القصائد التى دارت حول غزوة بدر " قال ابن إسحق : وكان مما قيل فى الشعر فى يوم بدر ، وتراد به القوم بينهم لما كان فيه قول حمزة بن عبد المطلب يرحمه الله ؟

ألم تَرَ أمراً كان منْ عَجب الدَّهر   وللحَـينْ أسبْـابٌ مُبيَّنـةُ الأمرِ

قال ابن هشام . . . وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرونها ونقيضتها " (١) ويقول فى موضع آخر : " قال ابن إسحق : وقال ابن أبى طالب فى يوم بدر . . .

ألـم تـرَ أنَّ اللّه أبْلـىَ رسولـه   بلاءَ عزيز ذى اقتدارٍ وذى فَضلِ

قال ابن هشام ، ولم أر أحد من أهل العلم يعرفها ولا نقيضتها " (٢) .

ويذكر صاحب الأغانى استخدام بعض الشعراء لكلمة النقض فى ذلك المعنى فيقول :

قال الشاعر العربى عقال بن هاشم مناقضاً ابن ميادة الرماح :

ألاَ أبلـغِ الرمـَّاحَ نقـْض مَقَالـة   بها خَـطَلَ الرمـَّاحُ أو كان يمتدحْ (٣)

ويستخدم المسعودى لفظة النقائض فى معناها حين يقول :

" وقد نقض دِعْبل بن على الخزاعى هذه القصيدة على الكُمَيْت وغيرها ، وذكر مناقب اليمن وفضائلها " (٤) .

وإذا كان المصطلح في نموه واستقراره قد ارتبط بالظروف التى أحاطت به سياسياً واجتماعياً ، وأصبح يميز لوناً خاصاً من الشعر له فرسانه المرموقون ، فإن هذا المصطلح اتسع مدلوله وساير تطور فنّ الفخر والهجاء ، وانتقلت صورته الفنية إلى مجالات أخرى ، وإن ارتبطت نوعاً من الارتباط بأصل وضعها الفنى .(٥)

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ، القسم الثانى جـ ٣ تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، ص ٨ .

(٢) المرجع السابق ، جـ ٣ ص ١١ .

(٣) الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ، طبعة دار الكتب ، جـ ٢ ص ٣٠٩ .

(٤) مروج الذهب للمسعودى ، جـ ٣ ص ١٦٢ .

(٥) يراجع صبح الأعشى فى صناعة الإنشا للقلقشندى ، جـ ١ ص ٣٧٦ .

النقائض وأدب الصراع السياسى والمذهبى

مثَّل الفخر والهجاء أهم عناصر النقيضة ، وهما غرضان قديمان عرفهما الشعر العربى قبل أن يعرف فن النقائض بمقوماته الفنية الناضجة ، وربما تجمعت فى بعض قصائد الشعر الجاهلى عناصر من خصائص هذا الفن وربما اكتملت صورتها فى قصائد أخرى ، إذ أحس الشاعر بفطرته أن استخدام السلاح الذى هوجم به فى الرد على خصمه أبلغ تأثيراً ، فراح يفخر على أعدائه ويهجو خصومه مقلداً البناء الفنى للقصيدة التى أنشأها غريمه ، وبذلك تكونت نواة هذا الفن فى العصر الجاهلى ، فالنقائض كما يقول أحد الدارسين : " فن جاهلى قديم نشأ مع النهضة الشعرية طفلاً ناقص الأركان ، ثم استكمل أركانه وعناصره معتمداً على فنى الفخر والهجاء بل إن هذا العنصر عرف فن النقائض فى صورته الناضجة . . . وضرب لذلك مثلا بقصيدة ابن الخطيم الأوسى فى حرب بعاث التى بدأها بقوله : (١) .

أتعرف رسماً كاطِّراد المذاهبِ ... لأسْماءَ وَحْشاً غيْر موقف راكب

وفيها يقول :

ديارُ التى كانتْ ونحنُ على منى ... تحل بنا لَوْلا نجاء الرَّكائب
دعوتُ بنى عوف لحقْنِ دمائهم ... فلمَّا أبوا سَامحتُ فى حَرْب حاطبَ
وكنتُ امرأ لا أبعثُ الحربَ ظالماً ... فلماَ أبوا أشْعلتُها كلَّ جَانب
ويوْمَ بُعَاث أسلَمتناَ سيُوفُنا ... إلى نَسَبٍ فى جِذْمِ غسَّان ثَاقبِ

ونقيضتها لعبد اللّه بن رواحة التى بدأها بقوله :

أشَاقتْكَ ليْلى فى الخَليط المجانبِ ... نَعَمْ فرَشَاش الدَّمْع فى الصدر غَالبى

ثم يقول :

إذا عُبِّرتْ أنسابُ قومٍ وجدتنا ... ذَوِى قائلٍ فيها كرامُ المَضَارب
نُحَامِى على أحْسابِنا بتلاَدِنا ... لمفتقر أوْ سَائل الحقِّ راغب
وَمُعْتَرك ضنْك تِرَى الموتَ وسْطه ... مشْينا له مشْىَ الجمال المصاعبِ

ويشهد تاريخ الشعر العربى مرحلة جديدة بظهور الإسلام وانتشاره ، كان من أبرز معالمها تلك المعارك الكلامية التى تطور فى غضونها فنا الفخر والهجاء وهما دعامتا شعر النقائض .

وقد تناول شعراء الإسلام وأعداؤهم موضوعات جديدة فى الفخر والهجاء استبدلوا فيها عنصر العقيدة بالفردية والقبلية مع استمرار الاعتزاز بطيب المحتد وعلو الحسب وشرف النسب ،

---

(١) تاريخ النقائض فى الشعر العربى ، أحمد الشايب ، مرجع سابق ، ص ٤٦ .

وثمة قيم اجتماعية وخلقية ونفسية اهتزت أو تبدلت أو استجدت بظهور الإسلام انعكست ظلالها على أفكار شعر الفخر والهجاء ومعانيهما ودخلت فى لغة العرب ألفاظ وعبارات بتأثير لغة القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف فاستلهمها الخطباء والشعراء .

ولعل أكبر مسرح تجلت فيه ملامح النقائض فى الشعر العربى خلال تلك الفترة هو الغزوات التى عكست الحوار الدائر بين فريقى المسلمين والكفار ، واستخدم فيها شعراؤهم أنماطاً مختلفة من المباريات الفنية حوى بعضها " مضمون " النقيضة ، واستكمل بعضها الآخر الشكل الكامل لها ، والذى يقلب صفحات كتاب السيرة النبوية لراويه ابن هشام يرى نماذج عدة من اللونين، ففى غزوة بدر يعرض حسان بن ثابت بالحارث بن هشام قائلاً (١) :

إنْ كنتِ كاذبةَ الذى حدثتنى ... فنجوت منْجى الحارث بن هشامِ

تركَ الأحبةَ أن يقاتل دونهم ... ونجا برأس طمرةٍ ولجامِ

فيجيب عليه الحارث بن هشام مدافعاً :

اللّه أعلمُ ما تركتُ قتالَهم ... حتّى حبوا مهْرى بأشْقر مزبدِ

فصددْتُ عنْهم والأحبةُ فيهم ... طمعاً لهم بعقابِ يوْم مفسدِ

وإذا كانت هذه المبارة لم تستكمل كل مقومات النقيضة شكلاً ومضموناً ففى موقف آخر من الغزوة ذاتها نرى حواراً بين حسان وابن الزبعرى قد استكمل كل أصول فن النقائض .

يروى صاحب السيرة النبوية أن عبد الله بن الزبعرى بكى قتلى المشركين . ببدر ، فقال :

مَاذَا عَلَى بدْرٍ ومَاذا حوْله ... من فِتْيةٍ بِيضِ الوجُوه كرامِ

فشمت فيه حسان وصب عليه لعناته قائلاً :

ابكْ بكتْ عيناك ثُم تبادرت ... بدمٍ تعل غروبها سجّام (٢)

وقد أخذ الصراع السياسى طابعاً جديداً فى عصر الدولة الأموية وقبيل قيامها وهى

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام : جـ ٢ ، ص ١٨ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ، جـ ٢ ص ١٦ . . وسجّام أى الدمع السجام السائل ، السيرة ٢/٢٦٥ .

الفترة التى شهدت ميلاد الصراع المذهبى أو تكوين جذوره ، وقد واكب فن النقائض هذا اللون من الصراع ، فمنذ مقتل الخليفة عثمان بن عفان وقضية الخلافة وما دار حولها من حرب وفكر موضوعات يلوكها الشعراء ، وقد تبلورت فى هذه الآونة المكونات الفنية للنقائض أو كادت ، ومن ثم نقلت إلينا جانباً من الصراع السياسى الذى نشب بين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان ، من ذلك ما دار بين كعب بن جميل نصير معاوية وغريمه النجاشى .

قال كعب :

أرَى الشأم تكرهُ مُلْكَ العـرا ... ق ، وأهلُ العراق لَهُ كَارِهُونا

وكُلٌّ لصَاحِبِه مُبْغِضٌ ... يَرى كلَّ ما كانَ مِنْ ذاك دِينـا

وقـالوا عَلِـيٌّ إمـامٌ لنـا ... فَقلْنا رَضِينا ابْنَ هند رضِينا

وكـل يُسـرُّ بمـا عِنْـده ... يـرى غثَّ مـا فى يَدَيْه ثمِينا

فرد عليه النجاشى شاعر على بقوله :

دعَنْ مُعـاوِيَ مـالـنْ يكـونـا ... فقـد حقّـق اللـه ما تَحْذرونـا

أتـاكم علـيٌّ بأهـلِ العـراق ... وأهـلِ الحجـازِ فمـا تصْنعونا

فإنْ يكره القـوم ملـك العـرا ... قَ فَقِدْماً رضينا الذى تكرهونا

فقولـوا لكَعْـب أخـى وائـلٍ ... ومن جعـل الغـثَّ يومـاً ثمينا

جعلتـم عليـاً وأشيَاعَـهُ ... نَظيرَ ابنَ هندٍ أما تَسْتَحُونا (١)

وبدل الأمويون نظام الخلافة الإسلامية فحولوها من الشورى إلى الملك العضود ، وأنكروا فى الوقت ذاته على أبناء على مطلبهم فى ميراث الخلافة ، وقالوا : إنها لا تورث فيرد عليهم هذا الزعم أحد شعراء العلويين بقوله :

يقولُون لمْ يـورث ولَولاَ تراثـه ... لقد شـركتْ فيـه بَكيلٌ وأرحـبُ

فإنْ هى لم تصلح لحيٍّ سِواهم ... إذاً فذَوُو القُرْبى أحقُّ وأقربُ (٢)

وإذا كان العصر الأموى هو العصر الذى اكتمل فيه نضج البناء الفنى للنقائض فإن العصر العباسى الأول شهد تطوراً مهماً فى الصراع السايسى المذهبى تجلى فى أمرين أحدهما ذو طابع سياسى وهو ظهور الخلاف بين العباسيين والعلويين وثانيهما ذو طابع فكرى ، وهو تطور

---

(١) شعراء النصرانية بعد الإسلام جمعه ونسقه الأب لويس شيخو اليسوعى ط ٢ دار المشرق بيروت . القسم الثانى ص ٢٠٧ .

(٢) ديوان الهاشميات ، ص ٤٢ .

الفكر الشيعى ووضوح نظرياته الفلسفية العامة التى تحدده كفكر متميز . وقد عايش الشعر هذه التيارات ، وأرهص بها ، وروج لها ، وأرخ لميلادها ، وشارك في صنعها ، وفى جملة القصائد التى نقضها تميم بن المعز علي الشاعر عبد الله بن المعتز نرى صورا ً لهذا التطور فى الجانبين السياسى والفكرى .

الفصل الثانى

شاعران ومذهبان

- بيــن الشـــاعرين .
- ســنية ابــن المعتــز .
- تشيع تميم بن المعز .

العباسيون والعلويون

يرجع نسب العباسيين إلى العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، ويرجع نسب العلويين إلى علي ابن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، وكلا الفرعين وثيق الصلة بالنبوة ، وكلا الفرعين يرى أن تكون خلافة المسلمين فى بيت بني هاشم ، ومن ثم اتحدت فكرة العباسيين والعلويين فى موقفهم من قضية الخلافة ، وعندما آل أمرها إلى على وتمرد نفر من أتباعه انبرى عبد الله بن عباس لحوارهم والدفاع عن ابن عمه ،

وها هو المبرد يروى لنا فى كتابه الكامل موقفاً من هذا الحوار :

قال ابن عباس : ما الذى نقمتم على أمير المؤمنين ؟ .

قالوا : قد كان للمؤمنين أميراً فلما حَكَّمَ فى دين الله خرج من الإيمان فَلْيَتُبْ بعد إقراره بالكفر نَعُدْ له ، فقال ابن عباس : لا ينبغى لمؤمن لم يَشُبْ إيمانه شك بأن يقر على نفسه بالكفر ، قالوا : إنه قد حكم ، قال : إن الله عز وجل قد أمرنا بالتحكيم فى قتل صيد فقال عز وجل : يحكم به ذوا عدل منكم فكيف فى إمامة قد أشكلت على المسلمين ، فقالوا إنه قد حُكِمَ عليه فلم يَرْضَ ، فقال : إن الحكومة كالإمامة ، ومتى فسق الإمام وجبت معصيته ، وكذلك الحكمان لمَّا خالفا نبذت أقوالهما ، فقال بعضهم لبعض : لا تجعلوا احتجاج قريش حجة عليكم ، فإن هذا من القوم الذين قال الله عز وجل فيهم " بل هم قوم خَصِمُون " ، وقال عز وجل : " وتُنْذِرَ به قوْماً لداً " (١) .

ويبدو أن موقعتي الجمل وصفين كانتا نقطة تحول فى تاريخ العلاقة العباسية والعلوية ، فمنذ ذلك الحين ظهرت فكرة التشيع لعلى وأبنائه من بعده ، وأحقيتهم فى الخلافة على اختلاف فى الأبناء وفروعهم دون بنى هاشم ، وهذا يعنى استبعاد بنى العباس وعدم أحقيتهم فى الخلافة ، ولم يأخذ هذا التحول طابع صراع أو نزاع ظاهرى ، وإن ظهرت آثاره فى مجريات الأحداث فيما بعد ، فقد اعتبر العباسيون والعلويون بنى أمية مغتصبين ، وأن آل الرسول صلى الله عليه وسلم أحق بالخلافة منهم ، ولذلك أنكروا عليهم الأمر فى صور مختلفة ، اتخذت طابع الثورة المسلحة حيناً ، والدعوة السرية للقضاء عليهم حيناً آخر ، وقد قام بالدور الأول العلويون ، ويشهد تاريخ علاقتهم ببنى أمية صراعاً دموياً عنيفاً ، ففى عهد يزيد استشهد الحسين ، وفى سنة ٦٥ هـ ، قامت حركة التوابين للأخذ بثأره فى خلافة عبد الملك بن مروان وخرج زيد بن على زين العابدين بن الحسين يطالب بالخلافة فى زمن هشام بن عبد الملك فقتلوه وصلبوه وأحرقوا

---

(١) الكامل للمبرد ، جـ ٢ ، مطبعة صبيح ، ١٣٤٧هـ ، ص ٧٨ .

جثته ، وقد لقى ابنه يحيى ما لقى أبوه (١) .

أما العباسيون فقد استغلوا موقفهم الموحد مع بني عمهم العلويين في المطالبة بالخلافة ، واستخدموا العلاقة استخداماً ذكياً فقد غلّفوا دعوتهم بالغموض وراحوا يدعون للرضا من آل محمد دون أن يحددوا من هو المقصود بذلك أمن أبناء العباس أم من آل علي ؟ وكلاهما - كما قلت - وثيق الصلة بالنبوة والرضا من آل محمد . ومما لا شك فيه أن كثيرين ممن استجابوا لتلك الدعوة وخاضوا غمار الثورة مع العباسيين قد فهموا أن المقصود من دعوة الثائرين إلى (الرضا من آل محمد) هم أبناء على ، كما يدل على ذلك موقف أحد شعرائهم الذى راح يفسر دعوة الرضا بأنها دعوة لأبناء على (٢) ، ونجح العباسيون فى تأسيس دولتهم عام ١٣٢ هـ ، وظن العلويون أنهم أصحابُ الأمر والنهى ، وأن الحق عاد إليهم ، لكنهم لم يلبثوا أن تكشفوا الحقيقة ، وهى أن الخلافة عباسية وليست علوية ، فأخذ الصراع يدب بين الفريقين ، وتقابلت فكرة العلوية والعباسية تقابلا واضحاً عسكرياً وفكرياً ، ففى عهد الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور خرج محمد بن عبد الله النفس النكية واستولى على المدينة فقتله المنصور ، ثم خرج أخوه إبراهيم بالبصرة فقتل فى قرية بالقرب من الكوفة ، وقتل فى هذه المعارك كثير من البيت العلوى ، وقبض على عدد منهم حبسهم المنصور فى سرداب على شاطىء الفرات بالقرب من الكوفة لا يصل إليهم ضوء حتى ماتوا ، واستمر النزاع بين العلويين والعباسيين فى خلافة المهدى والهادى والرشيد .

وحاول المأمون أن يقرب الخلاف بين العباسيين والعلويين ، فراح يدير الحوار معهم حول أحقيتهم فى الخلافة ، ولم يكتف المأمون بالحوار بل عهد بالخلافة من بعده لعلى بن موسى من العلويين فثار العباسيون لذلك ، ثم مات على قبل المأمون ، وعادت الأمور سيرتها الأولى (٣) ، وفى سنة ٢٣٥ هـ ، أتى المتوكل بيحيى بن عمر بن حسين بن زيد بن على ابن أبى طالب من بعض النواحى فضربه ثمانى عشرة مقرعة وحبس ببغداد .

وفى سنة ٢٥٠ هـ ، دخل يحيى الكوفة واجتمعت إليه الزيدية ودعا إلى الرضا من آل محمد وكشف أمره فقتل فى عهد الخليفة العباسى المستعين ، وذكر عن بعض الظاهريين أنه حضر مجلس محمد بن عبد الله وهو يهنأ بمقتل يحيى بن عمرو بالفتح وجماعة من الهاشميين الطالبين وغيرهم

---

(١) مروج الذهب للمسعودى ، جـ ٢ ص ٣٧ ، ٤٠ ، ١٤٠ .

(٢) المرجع السابق ، جـ٢ ص ٢٣٤ .

(٣) مروج الذهب للمسعودى ، جـ ٤ ص ٢٨ .

حضور فدخل عليه داود بن القاسم فقال : أيها الأمير إنك لتهنأ بقتل رجل لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حياً لعزى به وخرج وهو يقول :

يا بَنى طاهر كُلُوه وَبِيـاً إنَّ لحـمْ النبـى غيـرُ مـرَىٍّ

إنَّ وِتْرا يكون طالبهُ اللـ ـهُ لوتـرٌ نجاحـهُ بالحـَرِى(١) *

وفى هذه السنة ذاتها خرج الحسن بن زيد العلوى بالرى ودعا للرضا من آل محمد ، وهكذا تحددت علاقة العلويين بالعباسيين . على أنه ينبغى أن نلاحظ أمراً فى هذه العلاقة هو أن الخصومة لم تك دائمة بين أبناء العم ، ولم تكن عامة فقد قرب العباسيون إليهم بعض العلويين ولم يحاربوا إلا الخارج عليهم ، ومع ذلك فبين الحين والآخر تخرج فرقة من فرق الشيعة وتطالب بالخلافة وتحدث الفتنة ، ويتجدد الصراع بين الطالبيين والعباسيين .

وقد ذكر أبو الفرج الأصفهانى فى كتابه (مقاتل الطالبيين) أن عدد من قتل فى عهد الخليفة العباسى المهتدى خمسة عشر نفراً ، وفى أيام المعتمد تسعة عشر ، وفى عهد المعتضد رجلان ، وفى عهد المكتفى أربعة ، وفى أيام المقتدر عدد غير قليل (٢) .

بين الشاعرين

شهد القرن الثانى للهجرة ميلاد حضارة عربية فى بيئتين متباعدتين هما : بيئة العراق فى المشرق ، وبيئة الأندلس فى المغرب وقد أدى اختلاف الحكومتين إلى التنافس فى شتى مظاهر الحياة ، ومن أهمها الحياة الثقافية ، ولما كان المشرق مصدر اللغة العربية ، التى حوت عدة حضارات عالمية . فإنه صدرها إلى مختلف الجهات .

ومن ثم حرص علماء المغرب وأدباؤه على التشبه بعلماء المشرق وأدبائه وكلما بزّ فيهم شاعر راحوا يتلمسون أقرب الشعراء إليه من أفذاذ المشرق ، فابن هانىء الأندلسى متنبى المغرب ، وابن زيدون بحترى الغرب ، ولعل أوضح صورة لهذا التعلق بالشرق هو حرص المغاربة على توضيح نسبهم والرجوع به إلى القبائل العربية .

---

(١) الطبرى جـ١ ص ٢٧٠ .

(٢) مقاتل الطالبيين . لأبى الفرج الأصفهانى . القاهرة ، ١٩٤٩م . ص ٦٨٥ وما بعدها .

* وَبِيًا : من وبئت الأرض وباءً فهى وبيئة : أى كثر فيها الوباء .

غير مرىٍّ : من مَرَأ الطعام ساغ فهو مرىءٌ ، أى لحم النبى غير سائغ .

وظلت هذه الظاهرة منتشرة منذ الفتح العربي للأندلس حتى نهاية القرن الخامس الهجرى ، وهو القرن الذى نافست فيه بغداد عواصم إسلامية أخرى اكتمل نمو شخصيتها وحملت عبء ريادة الحضارة الإسلامية والعربية والدفاع عنهما .

وقد تجلى مظهر نمو الشخصية الأندلسية فى مؤلفاتهم التى نسبوها إلى بيئاتهم وراحت تتحدث عنهم مثل " الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة " ، " نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب " ، " الإحاطة فى أخبار غرناطة " يقول ابن بسام : " إن أهل هذا الأفق أبوا إلا متابعة أهل المشرق يرجعون إلى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث إلى قتادة . . . فغاظنى منهم ذلك وأنفت مما هنالك غيرة لهذا الأفق القريب الذى تعود بُدُورُهُ أَهِلَّة ، وتصبح بحارُه مهاراً مُضْمَحِلَّةً ، وليس محفا من قصر العلم على بعض الزمان واختص أهل المشرق بالإحسان " .

فلا غرابة فى أن يتشبه تميم بن المعز لدين الله الفاطمى وهو ربيب مدرسة الغرب بالشاعر العباسى عبد الله بن المعتز ، وهو من أعلام مدرسة الشرق ، لا سيما وأن الشاعرين أميران وهما أبناء عمومة ، ولكل منهما نصيب فى رقة الشعور وعذوبة الشعر . ولم يتباعد بينهما الزمان فبين مقتل ابن المعتز وميلاد تميم قرابة الأربعين عاماً فقط . وقد لاحظ القدماء كما لاحظ الدارسون المعاصرون تشبه تميم بعبد الله بن المعتز .

يقول ابن فضل الله العمرى : تشبهَ تميم بابن عمه ابن المعتز وتشبثَ بذيله "

ويقول ابن الأبار عن تميم : " شاعر أهل البيت العبيديين " . غير منازع ولا مدافع ، وكان فيهم كابن المعتز فى بنى العباس غزارة علم ومعاناة أدب وحسن وإبداع تخيل ، وكان يقتفى آثاره ويصوغ على مناحيه فى أشعاره " .

والذى يقلب ما تبقى من أشعار تميم يجده مقتفياً أثر ابن المعتز يعارضه معجباً حيناً ، ويناقضه مختصماً حيناً آخر ومن معارضاته .

قال ابن المعتز يصف ليلة من لياليه التى لم ينسها ، قضاها فى الشراب والتغزل فى ساقيه ، ودعا على عذاله بالويل ، وأعلن عدم اكتراثه بهم :

---

(١) الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، أبى الحسن على ابن بسام ، جـ ١ ص ٢ .

(٢) مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، ابن فضل الله العمرى .

(٣) الحلة السيراء لابن الأبار ، تحقيق : د . حسين مؤنس ، جـ ١ ط ، ، القاهرة : الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣م . ، ص ٢٩١ .

لا عـذر للعـاذل فـي الكـاس — فمـا أرى فـي الكـأسِ من بـاسِ

ويلـى مـن النّاس ومـن لومهـمْ — مالقـىَ النـاسُ مـن النـاسِ

مُهَفهفِ الخصر هضيـمِ الحشـا — مُشـوّقٍ بالوعـدِ مكـأسِ

وقـام فـي العاتـقِ منديُلـهُ — يُديـرُ كأسـاً بـين جـلاّسَ

وشـمّرُ الذيـلَ إلـى خصـرهِ — وحثّنـا بالرطـلِ والكـاسِ

وطـالمـا عذّبنـى هجـرهُ — ووكـلُ القلـب بوسـواسِ

لما أتتنـى رُسـلُه بالرضـا — أُنسـيتُ مامـرَّ علـى راسـى

ولـم أزل والليـلُ سـترٌ لنـا — مـن دون رُقـابٍ وحـُراس

أشكو إلـى غـمزةِ عينيـه وَمـا — قاسـيتهُ مـن قلبـه القاسـى

فـى ليلـة مـا مثلهـا ليـلة — لسـتُ لهـا مـا عشـتُ بالنّاسـى (١)

ويعارض تميم هذه القصيدة بأخرى يدعو فيها إلى التمتع بالمسرة والشباب ويصف ساقيه مستهيناً بعداوة العذال فى حبه له ، ويبرز مفاتن الطبيعة وتهيىء الجو الصحو للشراب :

تمتـعْ بالمسـرّة والشـبابِ — فقـد بـرزَ الربيـعُ مـن الحجابِ

فَحُبـك والزمـان وأنـت فيـه — شبابٌ فى شـباب فى شبـابِ

فحَيىّ على المُدام بكفِّ سَاقٍ — يُديـر الخمـرَ مـن بردْ عـذابِ

يُديـر بريقـه ويَديـه خمـراً — شـرابٌ فى شـراب فى شـرابِ

كـأن يديـه حاكـتْ وجنتيـه — بنـارٍ يصطلـى منهـا لهـاب (٢)

يـداهُ ثـم وجنتـهُ وقلبـى — شهـابٌ فى شهـاب فى شهـاب

إذا مـا أكثـر العـذّال فيـه — وزادَ علـىّ ترديـدُ العتـاب

عداوتُهـم وعذلهـم جميعـاً — سـرابٌ فى سـرابٍ فى سـرابِ

لعمـرك إنمـا الدنيـا عـروسٌ — جلاهـا الغيثُ من تحتِ النقابِ

بنفسـجها ونرجسـها وورْدُ — خضـابٌ فى خضاب فى خضابِ

فهرِقْ مـن دم الإبريـق راحـاً — فـإنَّ الغيثَ ممنـوعُ السحاب

فإبريقـى وكأسـى والغـوادى — سحاب فـى سحاب فـى سحاب

---

(١) ديوان ابن المعتز ، ص ٢٦٩ .

(٢) لهاب أى .. اتقاد النار وشدة استعارها .

فتم الشرب إن الصحو عـزمٌ والنيروز حظٌ في الشراب
فرأيك ثم شريك والغواني صوابٌ في صواب في صواب (١)

والجو العام المسيطر على قصيدة تميم يوحى بتفتح نفسية صاحبها للحياة ، ولذلك دلالته على ظروف الشاعر وحياته العامة والخاصة ، فتميم نشأ فى كنف خلافة شابة فتية توسع سلطانها وتمده فى اتجاهات عدة . وتميم وإن حرم الخلافة فحياته بين أب خليفة أو أخ خليفة لم تتقلب بهما الأيام والمحن .

أما الجو العام لقصيدة ابن المعتز فنرى فيها قساوة الزمان والإحساس بالمرارة على الرغم من تجرعه كأس اللذة فهى لذة مشوبة بالمرارة لا يكاد يتجرع كأسه فى نشوة حلوة حتى تثور فى نفسه مكايد الناس وأحقادهم فيصب غضبه عليهم فى صورة العذول اللائم . وحين يتحدث عن محبوبه تطفو صورة الخلف والهجران والشكاية وقساوة القلب . إن تميماً يبدو فى ملذاته رجلاً مقبلا على الدنيا ، وابن المعتز يبدو فى ملذاته رجلا يودع الدنيا ، وكان لظروفه العامة والخاصة أثر واضح فى ذلك الشعور .

ولعل تميم حقق ما يصبو إليه من تلك المعارضة فكلا الشاعرين يدعو إلى الشراب والتمتع باللذات ، لكن دعوة ابن المعتز دعوة فاترة فت فى عضدها استخدامه الأسلوب الخبرى الذى يحتمل الصدق والكذب ، ومع أنه أعلن رأيه ، لكنه كان رأياً بارداً توحى به كلمة لا بأس أما تميم فقد دعا إلى الشراب آمراً وفى أمره إغراء توحى به كلمة " تمتع " ثم هو يكرر هذه الدعوة المصحوبة بوسائل الإغراء المختلفة فمرة يقول :

« فحيَّ على المدام بكف ساق »

ومرة أخرى يقول :

« فأهرق من دم الأبريق راحا »

ولكلا الشاعرين موقف من العذول . أحدهما لا يأبه به ، ولا يقيم له وزناً والآخر مشغول به تارة يناقشه ويقارعه بالحجة إذ يقول ابن المعتز :

« لا عُذْر للعاذِل فى الكاس »

وكأنه يريد أن يقنع العاذل بضرورة تناول الشراب ، وأنه لا عذر له ، وتارة أخرى يدعو عليه بالويل والثبور والهلاك :

---

(١) ديوان ابن المعتز ، ص ٣٨٣ .

« وَيــــلٌ مــن النــــاس ومــنْ لَومِهــــــــم »

ولا شك أن موقف تميم غير الآبه بالعذول يناسب جو الفكرة العامة وهى، الدعوة إلى التمتع بالسرور ، لأن المدعو إن تدبر وتفكر فى أمر العذول فقد يتراجع ، وهذه المناقشة المنطقية التى أثارها ابن المعتز مدعاة إلى التدبر والتفكير .

وموقف الشاعرين من الطبيعة مختلف فلم يشر ابن المعتز إلى الطبيعة ولم يستمتع بها استمتاعه بالعاشق والكأس ، ولم يستخدم الطبيعة ومشتقاتها فى لبنات بنائه الفنى . حقاً : لقد ذكر الليل واستمتع به لكنه لم يستمتع بهدوئه أو نجومه أو أى مظهر من مظاهر الجمال فيه ، وإنما استمتع به لأنه وقاية له من ذلك العذول الذى كان شغله الشاغل ، ولا شك أن ذلك العذول أفسد عليه ملذاته وإن اعترف الشاعر بغير ذلك .

أما موقف تميم من الطبيعة فهو موقف الشاعر المصرى ابن البيئة المصرية ذات المناخ المعتدل والجو الصحو توحى إليه بالجمال فتقفز صورة الربيع بمدلولاتها الشعرية فى البيت الأول من القصيدة ثم يفسر هذا الجمال بأن الدنيا أصبحت عروساً بعد أن نزل الغيث وأنبت الزهور والورود ، وقد تزينت الطبيعة بهذه الزهور المختلفة .

وفى صورة المعشوق تبدو الإثارة قوية صارخة فى المعشوق الذى صوره تميم حين يقرن الشراب من الكأس بالشراب من الشفتين ، وحين يلون صورته بالنار التى صبغت كفى المحبوب ووجنتيه ، ثم يزيد الإثارة عنفاً حين يمزج شعوره بهذه الفتنة الصارخة ، وكأنما اشتعل قلبه ، وتلك قمة اللذة التى تشتهيها النفوس ، أما صورة الساقى والمعشوق التى قدمها ابن المعتز فهى وإن بدت حسية لكنها خالية من الإثارة ، وقد أفسد الإثارة فيها ذلك الوصف الخلقى قبل أن تثمر الصفات الحسية ثمارها فى نفوس القارئين والسامعين فهو يقول :

« مهفهــف الخصـــر هضيـــم الحشـــا »

وقبل أن تأخذ النفس غايتها فى تصور بقية مفاتن الجسم يقاطعه الشاعر بهذا الوصف الأخلاقى :

« مشــــوّق بالوعـــــــد مكـــــــاس »

وتلك صفة قد ينفر منها بعض الناس ، وحتى الذين لا ينفرون فإن الشاعر أفسد عليهم استمرار المتعة الحسية بتلك الصفة الأخلاقية ، فإذا حدثنا الشاعر عن أثر الفتنة عليه وجدنا فتوراً آخر فى الإثارة :

وطالمـــا عذّبنـــى هجْـره وَوكَـــلَّ القلــْب بوســواسِ

ومن ثم ، فإن تميماً بتصويره المعشوق يضيف عنصراً قوياً إلى الجو العام للقصيدة وهو الدعوة إلى التمتع بالملذات .

ويشد انتباه الدارس ذلك الصخب الموسيقى فى قصيدة تميم ، وقد اختار لها وزناً عالى النبرة هو بحر الوافر " مفاعلتن . مفاعلتن . فعولن " ، وهو من البحور ذات الجرس الموسيقى الصاخب ، ثم يثير الدارس أيضاً تلك المقابلة التى أجراها فى معظم الأبيات . وهى مقابلة تختلف عن مدلولها البلاغى لأنها تمت بين أمور ثلاثة عددها الشاعر فى الشطر الأول من البيت ، ثم قابلها بصفة واحدة ، وصفة ممتزجة أو مركبة أو مؤكدة ، فالرأى والشراب والغوانى فى البيت الأخير . . . صواب مؤكد فى نظر تميم . . . ولكن فى بعضها الآخر لم تستوف المقابلة عددها الثلاثى مثل البيت [يدير بريقه ويديه خمراً ... شراب فى شراب فى شراب] . وكلمات تميم فى هذه المعارضة " مفردة ومركبة " تتسم بالرشاقة ، وأعنى برشاقة الكلمة تلك العذوبة التى توفرت لها نتيجة مراعاة أمور مدركة بالحس اللغوى أو البلاغى أو النحوى ، وأخرى مدركة بالوجدان والأحاسيس الشعرية وهذا كله يناسب الجو العام لموضوع القصيدة أكثر من أسلوب الابداع الفنى والتأنق الفكرى الذى تميز به شعر ابن المعتز كما سأفصله فى حينه .

وإعجاب تميم بابن المعتز يرتبط بذلك الإحساس الذى أشرت إليه سلفاً ، وهو أن أدباء الشرق كانوا دائماً قبلة أدباء الغرب ، ولعل تميما وقد استأنس فى نفسه قوة الشاعرية أراد أن يثور على ذلك الشعور فراح يتعقب ابن المعتز ، ويعارضه فى أكثر من قصيدة ، ويطلب التحكيم فى تلك المبارة . قال ابن المعتز :

شُغِلتُ بلذّة القبلِ ... وَوَعد الكتْب والرُسل
ومعشوق يُواصلنى ... بلا مَطْلٍ ولا علل
أتى عَجِلاً يطيرُ به ... جناحُ الخوفِ والوَجَل (١)

وقرأ تميم هذه الأبيات فعارضها على وزنها وأنفذها إلى أبى عبد الله الرسى (٢) وحكمه فى الاختيار بين المطبوعين . قال تميم :

شغلت بخلسة المُقَلِ ... ومزْج الكُحلِ بالكَحَلِ
وما اعْتَلَّتْ به الألحا ... ظ فى أجفانها السُّجلِ
ومعشوق يكاد يذو ... ب خدّاه من القُبَلِ
يعاتبنى ويعْتِبنى ... ويُغضِبنى ويغضبُ لى

(١) ديوان ابن المعتز ، ص ٣٨٣ .

(٢) ابن الرسى : هو أبو عبد الله الحسين بن ابراهيم من نسل على بن أبى طالب . انظر هامش ديوان تميم ، ص ٣٥٠ وما بعدها .

تلاقينا بلا وعد ... ولا كُتُب ولا رُسُل
يُشجِّعُنا تعاشقنا ... وتَخذُ لنا يدُ الوجل
فألثمني حَصَى بَرَد ... تفجرُ من جنَى عسلَ
ويرقع وَجْهه عني ... بظاهر حُمرة الخجل
غزالٌ لم أرحْ يوما ... به خلوا من الوَجل

فبعث إليه أبو عبد الله بن الرسى بذلك الحكم :

وحقّ تودُّد الخَجِل ... وطيب تقرُّب الأمل
وحقِّ الحبِّ إذْ يأتي ... بحسن تكسُّر المقل
وما أبداه مَنْ أهواهُ من صدّ ومن علل
وحقك يا أميرى ظلْـ ... ـتُ في قصفٍ وفي جَذَل
لَشِعْرُكَ مُشبه الماء الـ ... ـذي يروي صدى الفُلَل
وثوب البرء يلبسه الـ ... ـذي أشفى على العلل
وحلّته إذا نشرتْ ... تُضعضِعُ سائرَ الحُلَل
فقولي كله صدقٌ ... وعبدُ الله يشهدُ لي

سنية ابن المعتز

يمكننا أن نتتبع نزعة السنية عند ابن المعتز من خلال موقفه من الخلافة والخلفاء .

ابن المعتز والخلافة :

أما موقفه من الخلافة العباسية فهو ربيبها ، ولد فيها وجده المستعين على كرسيها ، وعاش طفولته وأبوه المعتز يتولى أمرها ، وعندما كبر وأحس بالخطر المحدق بها من كل جانب أخذ يحث أهله على الحفاظ عليها :

مَن مُبْلغٌ قومي على قُربهم ... ويُعْدِ أسماعِ عن الوَاعِظين
هبُّوا فقد طالتْ بكمْ رقْدةٌ ... ن بعدها أحْسبُ لا ترقدون
حُثُّوا مطايا المجدِ ترقلْ بكمْ ... ناجينَ بين النَّاس أو مُعْذِرين
إنِّي أرى الأعداء قد رسَخُوا ... نوَاهياً أنتم لها حافرون
عانقتمُ الأحلامَ في مَضْجعِ ... سيَنْبتُ الشوْكَ لكم بعْد حين
يالَهْفَ قُرباىَ على مَعْشرَ ... إنْ لم تثق بالله ما يتقون (١)

ويصور عاصمة الملك بصورة تنبيء عماً آل إليه حال الخلافة العباسية واستبداد الولاة والأتراك بها ، ويقارن بين حالتين مرت بهما : الأولى عندما كان حكامها الأقوياء وجيوشهم الجرارة تحجب قرص الشمس ؛ وقد فرضوا ارادتهم على الوجود .

عَهْدِي بها والخيلُ جائلةٌ ... لا يستَبين لشَمْسها قُرْصُ
ومعَاشر وَجدُوا مَشيئَتهم ... وبما تحبُّ نفُوسهُم خُصُّوا
فمضى بذاك العيش آخره ... والهم مما سرُّ مقْتصُ

والحالة الثانية هي المرحلة التي عاش فيها الشاعر ، وقد استبد الوزراء الأتراك بالحكم واستهانوا بالخلفاء ، ونرى الشاعر هنا يحمل حملة شعواء على هؤلاء الولاة .

أفَما ترى بلداً أقمت بها ... عَلى مساكنِ أهْله خُصُّ
وَوُلاته نبطٌ زَنَادقةٌ ... ملأى البطون وأهلها خمْصُ
غَلَبتْ خيَانتهم أمانتهم ... طغى على تَقْواهم الحِرْصُ (٢)

وكان لعبد الله بن المعتز موقف من توليه الخلافة إذ اشترط لقبولها ألا يراق دم وألا تدور

---

(١) ديوان ابن المعتز ، ص ٤٤٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨٤ وما بعدها .

حروب فأخبره العارضون بأن الأمر يسلم إليه عفواً وأن جميع من وراءهم من الجند والقواد والكتاب قد رضوا به فبايعهم على ذلك (١) . ولم يكن الدافع لقبولها - وهو العليم بحالها وما آل إليه مصيرها على يد الوزراء ورجال القصر - إلا لينقذ الخلافة من الضياع لا سيما وأن " المقتدر " نصبوه خليفة وهو ابن ثلاث عشرة سنة وشهر وواحد وعشرين يوماً (٢) . وابن المعتز فى سبيل الوفاء لسنيته وانقاذ الخلافة خاض تجربته المريرة وقبل الخلافة ودفع حياته ثمناً لذلك سنة ٢٦٩ هـ ، وهو الذى طالما سخر منها وتهكم بها وبالحكم .

طَوْتكم يابَنى الدُّنيا ركَابِى ... وحاريَكُم رَجَائى وأرتِعابى
حَجبتُ بِهمَّتى من أن تَرونى ... أراقبُ منكمُ رَفْعَ الحِجابِ
لَئِنْ عُرِّيتُ مِنْ نُوْلِ أراها ... تجددُ كلَّ يوم للكلابِ
لقد خَلَّفْتُها بعدَ ابتذالٍ ... لها وملّلْتها قبل الذهاب (٣)

هذا الموقف المتأبى على الخلافة الساخر منها المستهين بمن يليها لا يتعارض وقبوله لها ، لأنه موقف موحد يلتقى عند غاية واحدة وهو الإخلاص للبيت العباسى وللخلافة العباسية والسنية .

وفى موقف آخر نراه ساخرا من الولاة الذين استبدوا بالحكم وأفسدوا فى الرعية :

شُخُوصُ ولايةٍ كَشخُوص عزلٍ ... على دَهْش وعزٌّ مثل ذلٌّ
ومجنون يخلّص بعدَ حبس ... وأقيادٍ وسلسلةٌ وغلِّ
ولم تَقض الحقوق ولا اقْتضاها ... بِتَسليمٍ وتَوْديعٍ لخلٍّ
ولم أرَ قبْله ريحاً عصوفاً ... مجسّمة وطُوماراً برحلِ
وأحْسبُها سيَتَسلُوها سريعاً ... ويرجع خائباً يَرْغُو ويُفْلى
وَوَجهُ الغزْل يضْحك كل يوم ... ويَطبزُ فى قَفَا الوالى المولِّ (٤)

هذا قدر هجومه على أعداء الخلافة ، وما كان له أن يتعدى ذلك مهما دفعه الحرص على خلافة أسرته مع هذا النفر من الأعداء ، فالخلفاء مستضعفون والحاشية مستبدة ، وولاة ظلمة ،

---

(١) الطبرى ، جـ ١ ص ١٤٠ .

(٢) المرجع السابق ، ١٣٩ .

(٣) ديوان ابن المعتز ، ص ٤٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٧٨ .

* ويَطبز أى : يملأ

ولكن الأمر والنهى ما يزال بأيديهم على تفاوت بينهم فى تنفيذ الأوامر والنواهى ، والشاعر ما يزال يعيش بين ظهرانيهم ، ويأخذ عطاءه من أيديهم .

ولكن الأمر مختلف مع غيرهم من الأعداء ، وقد نال الطالبيون من هجومه قدرا موفورا بين الحدة والاعتدال ، لأنه رأى فيهم خطرا حقيقياً على أسرته . أما القرامطة الذين خرجوا على الخلافة العباسية ، وأصبحوا شوكة فى جبينها وهى تعانى من التسيب الداخلى فكانوا هدفاً لابن المعتز ، يهاجم عقائدهم ويفند مذهبهم ، فيقول فى أرجوزته التاريخية :

والقُرمطيـــُّون ذوُو الآجـــام ... طغـوا فقدْ باؤوا مع الأنـام
وشـــرَّعُوا شـــرائع الفســاد ... وأهلكـوا إهـلاك قـوْم عـاد
كانـــوا يقولـــون إذا قُتِلْنـــا ... صَبْـرًا علـى مِلَّتِنـا رَجعْنـا
مِنْ بعـْد أيــام إلــى أهلينــا ... فَقَبَّـحَ الرحمنُ هـــذا الدينـا (١)

وعندما حقق المكتفى نصره عليهم وكسر شوكتهم راح ابن المعتز يهلل :

أقـولُ لما تبـدَّى راكـبُ الفيـلِ ... وصحّ ما كانَ من قَال ومنْ قيـلِ
يُزَفُّ فى القيد محمولًا إلى سقرَ ... مقسـَّماً بـين تنضيـج وتبطيــلِ
وأقبـلَ المكتفـى باللـهِ يتْبعـُه ... فَأكثَر النَّاسُ من حَمدٍ وتهليـلِ (٢)

ابن المعتز وخلفاء بنى العباس :

تقلب على كرسى الخلافة في الفترة التي عاشها عبد الله بن المعتز من سنة ٣٤٧ هـ – ٣٠٦ هـ ، سبعة خلفاء هم المستعين والمعتز سنة ٣٥٢ هـ ، والمهتدى ٢٥٥ هـ ، والمعتمد ٢٥٦ هـ ، والمعتضد ٢٧٩ هـ ، فالمقتدر ٢٩٥ هـ (٣) .

وقد وُلد عبدُ الله فى خلافة جَدِّه المستعين ، وماتَ المعتز ولم يبلغ الشاعرُ ثمانى سَنوات ، ولم تطل مدة حكم المهتدى أكثر من شهورٍ ، وكان عبد الله قد نفى إلى مكة على إثر مقتل أبيه ثم عاد إلى العراق فى حكم عمه المعتمد ، وفى خلافته نضجتْ شاعرية عبد الله ونعم إلى جواره بحياة هادئة ، أما الخليفة المقتدر فهو آخر من عاصرهم الشاعر من خلفاء العباسيين ، ولم تتضح علاقته به إذ تولى المقتدر الخلافة حدثاً ، ولم يمض عام على توليه حتى قتل عبد الله بن المعتز ، ومن ثم

---

(١) ديوان ابن المعتز ، ص ٥٠٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٧٥ .

(٣) راجع تاريخ الطبرى ، الجزء التاسع والعاشر : طبعة دار المعارف .

فإن علاقة الشاعر بالخلفاء تركزت فى ثلاثة هم : المعتمد فالمعتضد ، ثم المكتفى .

وفى كتاب الأوراق للصولى قصيدتا مدح نسبهما إلى عبد الله بن المعتز فى مديح عمه المعتمد يقول فى إحداهما :

أهــلا وســهلا بالإمــام ومرحبــاً   لـو أسـتطيع إلـى اللقـاء سَبيلا

ويتشكك الدكتور الكفراوى فى قبوله رواية الصولى ، ويرى أن هذه القصيدة أشبه بأشعاره فى المعتضد ، ولكنه يؤكد حسن علاقة الشاعر بالمعتمد مستدلا على ذلك بطول ترحم الشاعر على عهد الشباب فى شعره [1] ، ويبدو أن العلاقة بين الشاعر والخليفة المعتضد لم تكن على حال من الرضا ، فالقسوة التى عرف بها المعتضد لم تبق شيئاً من مودة الشاعر الرقيق ، ومع ذلك فقد كان مضطراً إلى مديحه واستعطافه :

لعَمْرى لئن أمْسـى الإمـام ببلْـدة   وأنْتَ بأخرى شائقُ القلبِ نـازعُ
لقـد رمـتُ مايُدْنيك منــه وإنمــا   أتـى قـدرٌ واللـهُ مُعْـطٍ ومانــعُ
وَإنىْ كالعطشانِ طالَ بـه الصـدى   إليـك وَلكنْ مـا الـذى أنا صانـع
أيَذْهـبُ عمــرى والعوائـقُ دُونـَـه   على مـا أرى إنىَّ إلى اللّه رَاجـع
وما أنَا فى الدُّنيا بشـىء أنـا لــه   سوَى أنْ أرىَ وَجه الخليفـةِ قانـعُ
وهَبْنى أريـتُ الحاسـدين تجلـداً   فكيـف بحـبٍّ ضمنّتـه الأضالـعُ
وإنـى لنعْمَــاهُ القديمـةِ شــاكـرٌ   وَرَاء بعَيْنِ النُّصحِ فيـه وَسامـِعُ [2]

ويصف الدكتور الكفراوى علاقة الشاعر بالمعتضد بأنها كانت تقوم على الريبة وسوء الظن المتبادل ، وظلت كذلك حتى النهاية ، وأن الشاعر كان يفخر ويتطاول على الخليفة المعتضد ويعرض به [3] فى مثل قوله :

وكَمْ مَلكٍ قـاسـى العقـابِ ممنَّـعٍ   قديرٍ على قبْضِ النفُوس مُطَـاع
أراه فَيُغْدِينـى مـن المكرِمـا بــه   فأكرمُ عنـه شـيمتى وطِبَاعــى [4]

وقد اقترن تولى المكتفى السلطة بالقبض على الشاعر ، واضطر الأمير الشاعر أن يستعين بالوزير القاسم بن عبد الله ، ويذكر إحسانه وإحسان أبيه عبد الله من قبل :

---

(١) عبد الله بن المعتز العباسى . حياته وإنتاجه . محمد عبد العزيز الكفراوى . سلسلة فى الأدب والنقد ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ١٠٤ .

(٢) ديوان ابن المعتز ، ٣٠٧ وما بعدها .

(٢) عبد الله بن المعتز العباسى . حياته وانتاجه ، محمد عبد العزيز الكفراوى مرجع سابق ص ١٠١ .

(٣) ديوان ابن المعتز ، ص ١٠٤ .

هلْ منْ مُعين علىَ أحداث أزماني | أسأت معتمداً لِي بعد إحْسانِ
كلاَّ أليست تقينى للزمان يدٌ | لقاسم ذات تمكين وَسُلْطان
حَمَلْتَ نفسكَ لا زالتْ معمرة | ردُّ المكَاره عن نفسي وجثماني
كَناك كان عُبَيْدُ اللّه وَاحَزَني | عليه ما عشتُ فى سرِّى وإعلانى (١)

ويعد أن تقلد المكتفى زمام الأمور أفرج عن الشاعر واضطر إلى مديحه مهنئاً بالخلافة راجياً أن يمحو الآثام التى حلت به :

هَنتْكَ أمَيرَ المؤمنين خِلاَفَةٌ | أتتْكَ على طَيرْ السَّعادة واليُمْن
ولما أقرتْ فى يديك عنانها | نشرتَ على الدنيا جَناحاً من الأمْن
فَيَاجُود كفَّيهِ امْحُ آثار بَأسِه | فَإنَّ عليه أرش حَسْبى ولم أجْن (٢)

تلك علاقة الشاعر بالخلفاء ، علاقة النفاق والملق والإذعان والخوف ، " ولعل ذلك كان السبيل الوحيد إلى الاحتفاظ بمكانته عندهم أو الحفاظ على حياته " (٣) .

فإذا ذهبنا نفتش عن القيم التى رددها ابن المعتز فى مدائحه خلفاء العباسيين لنرى إلى أى حد تعكس اعتقاده السنى وجدناه يؤكد حرصه على دوام الخلافة ويدعو إلى الحفاظ عليها ، يقول للمكتفى :

فاشدُدْ يديْك على عنان خَلافة | لك إرثُها وبقاؤُها الممدود (٤)

ويدعو اللّه أن يحفظ الخليفة الهاشمى ولى دولتها :

يارب أبق وَلِيَّ دولْة هاشم | واجعل عليه من المَكَارِه وَاقيا (٥)

ولا نلمس فى مدائحه الخلفاء حرارة العاطفة أو صدق المشاعر وفى بعض الصفات التى أسبغها عليهم يبدوالفتور بل ونلمس فيها رائحة الاستخفاف ، يخاطب المكتفى قائلا :

---

(١) ديوان ابن المعتز ، ص ١٠٤ .

(٢) الأرش : دية الجراحات . ديوان ابن المعتز ، ص ٤٣٤ .

(٣) عبد اللّه ابن المعتز العباسى . حياته وإنتاجه ، محمد عبد العزيز الكفراوى مرجع سابق ، ١٠٣ .
يقول ابن الأبار : « كان ابن المعتز يدارى المعتضد والمكتفى ابنه ويمدحهما ويمدح عمه الموفق رغبة من التخلص منهم ، لأنه كان أهلاً للخلافة فعصمه اللّه بذلك من هؤلاء » ، الحلة السيراء ص ٢٩٢ .

(٤) ديوان ابن المعتز ، ص ١٧٣ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٦٤ .

فيـا حسـنَه يَا إمـامَ الهـــُدى　　　وخيــرَ الخـلائـف نَفْســاً وأَبْ
إذا ما تربـــَّع فـــوق السريــــر　　　وبالتـــــاَّج مفْرِقـــــه معْتَصــبْ
لـــــه راحـــــةٌ يالَــــهـا راحـــــة　　　تـــرى جـِـــدٌ نائلـهـا كاللَّعِـــبْ (١)

فالذى يوحى به هذا النداء " فيا حسنه " - من التدليل الذى يليق بالصبية - يعد استخفافاً فى مخاطبة الملوك والخلفاء ، والصفة التى وصفه بها فى البيت الثانى كانت سبباً فى حرمان عبيد الله بن قيس الرقيات من العطاء زمن يزيد بن معاوية ، وفى صفة الجود التى وصفه بها فى البيت الثالث لا نستشعر الجدية التى تليق بالملوك .

وشعور ابن المعتز نحو خلفاء بنى العباس بعدم الحب الصادق تفضحه صوره فى الحديث عنهم فها هو يصف الإمام بالكرم والشجاعة وهما صفتان يعتز بهما كل ممدوح ، لكنه لا يلبث أن يفسد هذه الجدية بصورة السيف كالوشاح على كتفى الخليفة إذ يقول :

جُمِــعَ الحــقُّ لنــا فــى إمَــــام　　　قَتــلَ البُخْـلَ وأحْيـا السَّماحـا
ألِــفَ الهْيجــاَء طِفـــْلا وكهــــلا　　　تَحْســب السـَّيفَ عليـه وِشاحــاً (٢)

وقد يستشعر الجدية فى مديحهم حينما يتحدث عن ملك بنى هاشم لأنه الملك الذى يمس كيان الشاعر وذاته :

لقـــد شـــَدَّ ملــك بنــى هاشــم　　　وَأبْدَلـــــه بالفَســـاد الصَّلاحـــاً
إمـــامٌ أعـــادَ الهـــدى عدلـــُه　　　ولاقـــىَ بـــه المرتجـونَ نجَاحـــا
وَيعْفــو ويْصفـــحُ عـــن معشـــرٍ　　　ويخضـب من آخريـــن السلاحـــا (٣)

فالشاعر فى مثل هذا الموقف يعكس أمانيَّه المرجوةَ ويسبح فى أحلامه الفنية أكثر من تصويره واقعاً سبق أن وصفه لنا بالضعف والتمزق والهوان ، أو تعبيره عن عاطفة حب للخليفة الممدوح أو ثناء عليه .

تشيع تميم

مازالت فرق الشيعة تدبر ثوراتها وتنظم حركاتها وتبث دعاتها على اختلاف مبادئها ونزعاتها حتى استطاعت فرقة منهم هى الاسماعيلية أن تقيم دولة " العبيديين " بالمغرب . وسموا

---

(١) المرجع السابق ، ص ٦٥ .

(٢) ديوان ابن المعتز ، ص ١٤١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

أنفسهم بالفاطميين نسبة إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم . وحول صحة هذا النسب خلاف كبير تناوله بالتفصيل كتاب أصول الاسماعيلية (١) .

وقد نشأت هذه الدولة فتية تستمد بعض عناصر فتوتها من ذلك النسب ، فلابد أن يكون تمسك الخلفاء به عنيفاً بمقدار حرصهم على نجاح دولتهم واتساع سلطانها ، ومن ثم كان التظاهر بالتشيع وما يفرضه على قادتهم من سلوك معين عبئاً ينوء به كاهل شاعر مرهف مثل تميم .

لكن التشيع فى عصر تميم لم يعد مظهراً فحسب بل أصبح عقيدة وفلسفة وعلماً وفقهاً وأدباً ، ومناصرة سيف ومآزرة فكر ، وقد تشيع تميم من هذه الجوانب بما يطيقه أو بما يستطيعه ، ومن ثم تحدد موقفه من الخلافة والخلفاء .

تميم والخلافة :

أما الخلافة فما كان ليطلبها وما كانت لتئول إليه ، وقد أدرك أبوه كما أدرك مؤدبوه هذه الحقيقة ، وربما أحس تميم نفسه عدم قدرته على تولى الخلافة وما يتطلبه ذلك من سلوك معين قد لا يحتمله فما عرف من تاريخه أنه طالب بها ، ولا نجد فى شعره بكاء عليها ، بل نحس بالوفاء والولاء لأبيه وإخوته ، وعلى الرغم من ذلك فإن المؤرخين القدماء لا سيما معاصروه شغلوا أنفسهم بهذه القضية ، وفسروها تفسيرات لا تتفق وحقيقة الشاعر .

يقول ابن الأبار فى كتابه " الحلة السيراء " ولاه أبوه المعز لدين الله معن ابن اسماعيل المنصور عهده ، وبه كان يكنى ، فخلع برأى جوهر الصقلى لأنه كان عقيماً لا يولد له (٢) .

ويذهب بعض الدارسين المعاصرين إلى أن حجة العقم لم تكن ثابتة ، لأن ابن الأبار نفسه يذكر بعد نسب تميم كنيته وهى أبوعلى ، وأن هناك مصدراً آخر أثبت أن تميما تزوج وأنجب ولدا اسمه على ، ويرجح أن يكون السبب الحقيقى هو انصراف تميم إلى حياة اللهو والانشغال عن السياسة وأمور الدولة (٣) .

وفى سيرة الأستاذ " جوذر " ما يوصم تميم بالخيانة لأبيه " إذ نمى إلى علم " جوذر " أن

(١) راجع أصول الاسماعيلية بحث تاريخى - فى نشأة الخلافة الفاطمية ، تأليف الدكتور برنارد لويس Bernard Leuis ترجمة جاسم حمد رجب وخليل أحمد جلو دار الكتاب العربى بمصر .

(٢) الحلة السيراء ، لابن الأبار ، جـ ١ ص ٢٩١ .

(٣) تميم بن المعز . عبد المجيد عطية وآخرون . تونس : الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٧ ، ص ٩ .

هناك صلة بين الأمراء الساخطين والأمير تميم ، وأن الرسائل تتبادل بين تميم وهؤلاء الأمراء ، فأرسل " جوذر " إلى المعز لدين الله يستأذن في القبض على هؤلاء الذين يدخلون رسائل القوم إلى القصر بالمنصورية ، ولكن المعز أمره بألا يعرض لهم حتى إذا مرت عدة أيام كتب المعز إلى " جوذر " يا جوذر كنت خاطبتنا في أمر كتب القصر إلى دار تميم وغيره فأمرناك بترك التعرض لهم ، وإذن الله قد جرى على فكرك ما فيه التوفيق ، ونحن مانظن بأحد سوءاً من الأباعد فكيف من الأقارب ؟ قد ظهر لنا بعض مانكرهه فاعمل على حمل ما يكون من كتاب وغيره إلينا ، ولا تنفذه حتى تعرفنا به من حيث لا يشعر بك البتة إن شاء الله " .

ويعلق الأستاذ حسن الأعظمي على ذلك بقوله :

« هذا يدل على أن المعز وعامله « جوذر » ظهر لهما أن هناك فتنة تدبر ، وأن تميما كان أحد أفرادها وأنه كان على صلة بأعداء أبيه ، ومن يدرى لعلهم شجعوا تميماً للقيام بثورة على أبيه بعد أن وعدوه بالمساعدة للوصول إلى الملك . إذن كان المعز لدين الله يشك في ابنه الأمير تميم شكا جعله لا يطمئن إليه ولا يثق به ولكنه كظم حنقه على ابنه عساه يرعوى ويعود إلى رشده . وزاد الطين بلة أن أمير صقلية من قبل الفاطميين « أحمد بن حسن الكلبى » أرسل إلى جوذر ، يطلب منه الإذن من المعز في قتل ابنه طاهر لصحبته الأمير تميما ، وما أشيع من القول عن هذه الصحبة غير الطاهرة (١) .

لقد أجهد هؤلاء الدارسون أنفسهم في تبرير حدث سياسى وهو أن المعز أهمل شأن ابنه تميم حين أوصى بالخلافة إلى ابنه عبد الله ، ثم لابنه الأصغر بعد وفاة عبد الله (٢) .

وفي رأيى أن مسألة الخلافة لم تكن تعنى تميما بالقدر الذى يدفعه إلى خيانة أبيه المعز والثورة على أخيه العزيز ، لأسباب أهمها أن الخلافة كانت تتطلب منه سلوكاً معيناً لا يتفق وطبيعته ، وأن الجاه الذى يناله منها لم يكن محروماً منه ، وأن بعد الصيت أو دخول التاريخ من باب الأدب لا يقل عن دخوله من باب السياسة ، وله مثل في الشاعر الذى نال إعجابه وهو عبد الله

(٢) مقدمة ديوان تميم .

(٣) يقول المقريزى : « ولعشر خلون من رمضان سنة ٣٦٢ هـ أمر المعز بالكتاب . . . في سائر مدينة مصر ، وأثبت اسم المعز لدين الله واسم ابنه عبد الله الأمير . اتعاظ الحنفا .. ص ١٨٨ .

ويذكر ابن ميسر : أن قائد جيش الفاطميين القرامطة من مصر هو الأمير عبد الله .

انظر تاريخ مصر ، ص ٤٦ .

بن المعتز ، وكل ما فى الأمر أن المعز ومن حوله أدركوا تماماً أن تميما لا يصلح أن يكون وصيا لخلافة تزعم عصمة من يليها ، وتدعى أنه بشر ليس كسائر البشر ، وعلى الرغم من إقصاء تميم عن الخلافة فإنه أدى دوره فى التشيع على أفضل صورة من خلال أشعاره فى أغراضها المختلفة .

تميم والخلفاء الفاطميون :

عاصر تميم من خلفاء الفاطميين ثلاثة هم جده المنصور ، وأبوه المعز وأخوه العزيز ، ولم تكن موهبة الشعر اكتملت عندما توفى جده ، فلم يترك لنا – فيما بقى من شعره – ما يوضح علاقة الشاعر بجده وكانت فترة خصوبته هى التى حكم فيها أبوه وأخوه ومن ثم فإن علاقة الشاعر بالخلفاء الفاطميين تتجلى فى موقفه من هذين الخليفتين .

أما أبوه فلم يعهد إليه بأى عمل مهم ولم يوله منصباً فى دولته لعلمه أنه لم يكن مراعياً سنن الخلفاء الفاطميين ، ومع ذلك كان تميم دائم الافتخار بأبيه والثناء عليه ، يقول فيه :

وكـــان مـــن كـــلَّ أذى حمـــاهُ ... ذاك المعـــزُّ الماجـــد الأوَّاهُ
مـن لـم يكـدّر مَنـــهُ جـــدْواه ... ولـم يُمَحـّصْ إثمـــهُ تقـــواه
ولـم تغيـــر دينـــه دنيـــاه ... صلّـى عليـه اللّـــه واصطفـــاه (١)

وقال فيه وقد شكا ألما :

نَفســى أحـق بشــدَّة الوجـــدْ ... أبـــداً وأنـــت أحـــقُّ بالمجـــدْ
اللّه يعلـــم والمعـــز مُصدقـــى ... لـو كـان يمـكن دفـعَ مايـردى
لجعلـتُ نفســى جُنـّةً عن نفســه ... ووقيتــهُ صــرفَ المنـــىَ وحـدْى
وبذلـتُ مـا عنـدى لـه مـن حجـةٌ ... وإن احتقــرتُ لـــه الـذى عنـدْى (٢)

ويرثيه قائلا :

مـن يُعـَزَّى الجيـادَ أم مَنْ يُسلّـى ... مجلـسَ الملـْك والسـريرَ الكئيبـا
فقـدوا بعـدك القـلوبَ اللواتـى ... شقهـا واجـبٌ فشـقُّوا الجيوبـا
وَامُعــــزَّاهُ وامُعـــــزَّاهُ حتـــى ... يغتـدى الدمـعُ بالدمـاء خضيبـا
فَليـذُقْ غيـرىَ الحيـاةَ فإنـــى ... لا أرى للحيـاةِ بعـدكَ طيبـا (٣)

---

(١) ديوان تميم ، ص ٢٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٧ .

أما موقفه من إخوته ، فيتجلى فى ذلك الحب الصادق الذى بدا فى رثاء أخيه عبد الله . وكانت الولاية له ، وكان هو المرتقب أن يليها على ما جرت به عادة الخلفاء ، وكان موته مظنة الفرج ، لكن هذه اللوعة التى نحسها فى الرثاء تعكس لنا عواطف الأخوة عالية فوق ارتقاء العروش أو السلاطين :

كل حى إلى الفناء يصير	والليالى تَعلةٌ وغرورُ
يا أخى أى عَبرةٍ ليس تهمى	وفؤاد عليكَ ليس يطيرُ
يا أخى إن بكتكَ عينى فإنى	بالبكا والأسَى عليك جَديرُ
يا أخى عبد اللّه أىُّ مَساعٍ	لم يَفُتْهنَّ سعيُكَ المبرورُ
يا أخى إن صاحبى وأخى بعـ	ـدَك تلْهابُ لوْعةٍ وزفيرُ
وفؤادٌ عن السلُوِّ عنيد	ومن الصبْرِ والعزاء نَفُورُ
كنت ملْءَ الجفون نورا فأمستْ	ملْؤها مَنْمعٌ عليك غزيرُ
خانني بعدك التجلُّد والصـ	ـبرُ على أنَّنى الجليدُ الصبورُ
أىُّ أخلاقكَ الرضيةِ يُرْثَى	رأيُك العضبُ أم سناكَ المنيرُ ؟
أم محيا يجولُ ماءُ النهى فيـ	ـه وماءُ الحجا القراحُ النَّميرُ
أم شبابٌ كما بدا نَبْتُه الغَـ	ـضُّ وعمرٌ لدْنُ الحواشى نضيرُ
فالصباح الأغرُّ ليلٌ بهيم	عند فقديكَ والديارُ قبورُ (١)

وإذا قارنا هذا الرثاء بمارثى به عبد الله بن المعتز الخليفة العباسى المعتضد ، وضح لنا الفرق بين موقف تميم من خلفاء الفاطميين وموقف ابن المعتز من خلفاء العباسيين (٢) .

ومن معتقدات الشيعة فى الإمامة يبرر تميم قيام أخيه العزيز بها دون سواه . وما دام يعتقد ذلك فلا شك أنه راض قانع مستبشر لا يحمل حقداً أو ضغينة .

يَهنا العزيزَ من العلياء منزلةٌ	لم يحوها ملكٌ فى سالف الحقبِ
خلافةٌ علَوىٌّ أصلُ مُورثِها	ومولدٌ نبَوىُّ الجنس والحسَبِ
لقد حويتَ أبا المنصور مرتبةً	من المكارم طالت أرؤُسَ الرتَبِ

---

(١) ديوان تميم ، ص ١٤٧ .

(٢) انظر مراثى ابن المعتز للمعاضد فى ديوان ابن المعتز . وانظر تعليق د . الكفراوى على هذه المراثى فى كتابه عبد الله بن المعتز العباسى . حياته وإنتاجه . ص ١٠١ .

أنت المسمَّى المرجَّى قبل مولدِهِ والخامسُ القائمُ المذكورُ فى الكتبِ (١)

ولقد أثارت علاقة تميم بأخيه العزيز محقق أشعار تميم فأهداها إلى العزيز قائلاً :

« إلى الخليفة الفاطمى الثانى فى الديار المصرية الإمام العزيز بالله أقدم ديوان شقيقه الأمير تميم ابن الخليفة المعز لدين الله عاش على الإخلاص له والثناء عليه فى كثير من ديوانه الكبير وقصائده العامرة (٢) .

ولابن الأبار رأى فى مدائح تميم أخيه العزيز لا أعرف على أى سند أقامه حين يقول : وكان تميم لما استقر بمصر وتوفى أبوه فى شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة وولى أخوه يمدحه ويداريه طلباً للسلامة منه لأنه لم يكن يأمن عاديته بسبب انخلاعه عن العهد (٣) .

وإذا تتبعنا سيرة الأخوين مدة حياتهما لم نجد دليلا واحداً يقوى ما ذهب إليه ابن الأبار ، وإذا استعرضنا شعر تميم لم نجد فيه أنة مكظوم ، أو زفرة متحسر ، أو حقداً أو كراهية لأخيه .

حقاً نجد فى شعره عتاباً رقيقاً ، وفى تاريخ علاقتهما أن العزيز نفاه إلى الرملة حيناً من الزمان ، ومنطوق الشعر ومجريات الأحداث يؤكدان أن المودة والحب داما بينهما على الرغم من تلك الشوائب .

لقد وشى الوشاة بين العزيز وتميم ، ولكن أية وشاية تلك ؟ .

لا شك أنها تناولت سلوك الشاعر بما هو فيه من لهو ومجون ، وما كان ذلك خافياً على العزيز . . . ولكنه كان مسئولا عن هيبة الخلافة وأمرائها فلابد أن يتخذ موقفاً ، ولعله أراد تهدئة الخواطر فأقصاه عن مصر ، ويستبعد أن يكون النفى لأسباب سياسية إذ لو

(١) يريد أنه خامس أربعة خلفاء وهم : المهدى والقائم والمنصور والمعز ثم العزيز بالله وهو المراد هنا . ونلاحظ أن الشاعر مدح إمامه بأنه القائم الخامس ، وتلك العقيدة من عقائد الفاطميين لا يشاركهم غيرهم من الفرق الإسلامية فيها ، فالقائم هو (المهدى المنتظر) وكل إمام هو قائم بالقوة ، إلى أن يأتى قائم القيامة وهو القائم بالفعل . كما أن الفاطميين ذهبوا مذهب الفيثاغورثيين القائل بأن الموجودات بحسب طبيعة العدد وخواصه ، فلكل عدد خاصية ليست لغيره ، ولكل إمام خاصية وقوة وصفات ليست لغيره حسب ترتيبه فى سلسلة الإمامة ، ولذلك قال الشاعر الخامس والقائم . انظر هامش ديوان تميم ، ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) مقدمة ديوان تميم . محمد حسن الأعظمى ص ٦ .

(٣) الحلة السيراء لابن الأبار ، جـ ١ ص ٢٩٢ .

كان ذلك لاختار أن يسجنه عوض أن ينفيه (1) .

وفى ديوان تميم أشعار رقيقة فى شكوى الغربة والتبرم بحياة المنفى والحنين إلى مصر ، وتأكيد المودة بينه وبين أخيه .

رضيت بحكم سابقة القضاء وإن أضحت تُكدّر صفْوَ مائى
إلى كم تهدم الأحداثُ ركنى وترمينى بجورٍ واعتداء
يعاقبنى الزمانُ بغير ذنب وتخذلنى يدى وذوو اصطفائى
ويسعى لى لمَنْ لو جاء ساعٍ به عندى لخضَّبَ بالدماء
أتعلم كيف كان لك انعطافى وكيف رأيتَ قدماً فيكَ دائى (2)

وكل من تعرض بالدراسة لحياة تميم أو شعره يؤكد أن علاقته بالعزيز لاتشوبها - ظاهرياً - أية شائبة يتفق فى ذلك القدامى والمعاصرون ، وإنما يختلفون فى صدق هذه العلاقة وإذا كان ابن الأبار قد قطع بزيفها ، فإن بعض الدارسين المعاصرين يتساءل : هل كانت هذه العلاقات الطيبة (بروتوكولية) مبنية على مصلحة كل من الأخوين أم كانت مبنية على ود خالص ومحبة صادقة ؟ (3) .

ولعل تميما كان يرهص بشىء من ذلك فانبرى يدافع عن علاقته بأخيه ليقطع الشك باليقين فصلته به لا تنبعث من خوف الانتقام ولا يدفعها الطمع فى النوال ولكنه الحب الصادق الذى مزج بين الروحين فلم تعد للحياة معنى إلا فى قربهما ، والحب الغامر الذى غشى على قلب الشاعر فأصبح غاية أمانيه ، وعطل حواسه فأصبح حب أخيه سمعه وبصره ، ولم لا ؟ . وهو الإمام والأئمة ورثة النبى الكريم الذى خلقت الدنيا من أجله ولولاه ما أشرقت شمس ولا طلع قمر.

لم يخل قلبىَ من ذكر الوزير وإنْ نأى به شغُلٌ أو عاقَه قَدَرُ
يرعاك كلٌ بكلى رعْىَ مرتقب لا رعْىَ من قادَهُ الأطماعُ والحَذرُ
قلبى عليك رقيبٌ فيكَ يكلؤنى يا منتهى أملى والسمعُ والبصرُ
لا سرّنى العيش إلا أن تسَر به ولا استوى لىَ إلا عندكَ العُمُرُ
لولاك لم تَحْسُن الدنيا لساكنِها طيباً ولا أشرقتْ شمسٌ ولا قمرُ (4)

---

(1) تميم بن المعز ، عبد المجيد عطية وآخرون ، مرجع سابق ، ص 20 .

(2) ديوان تميم ، ص 28 .

(3) تميم بن المعز ، عبد المجيد عطية وآخرون ، مرجع سابق ، ص 18 .

(4) ديوان تميم ، 147 .

ولقد وثقت هذه الأبيات وأمثالها عرى المحبة بين الأخوين ، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ وكلما أغدق العزيز على أخيه من عطائه المال والأمن والصلة ، زادت وشائج القربى ، وتأكد الود ، واتصل المديح ، ومع ذلك يرى تميم أن صنع أخيه معه أفحمه وهو الذى يصوغ الألحان عذبة الروى فى أخيه يشد بها أزره ويبلغ دعوة التشيع فى أوسع نطاق .

أفحمتني بلطيف البرِّ منك فما ... أدرى بأىِّ مكافاةٍ أكافيكا
سارت براعة فهمى فيك فانحصَرتْ ... عن وصف معنًى وطيد من معانيكا
ماذا أعدِّدُهُ حتى أقومَ به ... شكراً وأذكرُه حتى أوافيكا
إشراقُ وجهكَ لى أم حُسْنُ فعلكَ بى ... أم انبساطكَ نحوى أم أياديكا ؟
اللّه جازيكَ عنى يا خليفتَهُ ... جزاءَ مقتدرٍ واللّهُ راعيكا (١)

وإذا سرنا مع تميم - كما سرنا من قبل مع ابن المعتز - متأملين القيم التى امتدح بها الخلفاء الفاطميين رأينا صورة مغايرة لماسبق أن رأيناه فتميم فى مديحه يؤكد أحقية الخلافة لأسرته وصدق نسبتها إلى الرسول ويضمن مدائحه الفكر الشيعى ، ذلك الفكر الذى بلغ خصوبته فى عصر تميم ، وغدت له مصطلحات خاصة به فى قاموس اللغة العربية ، وإذا ذكر صفات خاصة بالممدوح فإنه يكرر الموروث عن التراث العربى فيمتدح بالشجاعة والفصاحة ، وشرف النسب ، وطيب المحتد ، وصواب الرأى .

كفّاكَ فى كلِّ سِلْمٍ ... سحابُ صَوْبٍ نَداهُ
وحسْنُ رأيكَ فى الحرْ ... بِ سيفُه وقَنَاهُ
فأنتَ يُمنى يديْه ... وأنت أمضَى ظُبَاهُ
فاسْلَمْ لسعْدِكِ يامنْ ... يُديمُ نحْسَ عِداهُ (٢)

ويمتدح بالفصاحة والنسب وأحقية الخلافة :

لأنك فى بحْرِ البلاغة مفرقٌ ... وفى ساحتى أرض النبوة منجَبُ
ليهْنك أن الفضْلَ أجمعَ كلَّهُ ... إليك أبا المنصور وحدَك ينسَبُ
وأنَّكَ أنتَ المصطَفى الملكُ الذى ... بطاعته من ربّنا نتقرّبُ
ولولاك كان الملك فى غير أهله ... وكان على أفق الشريعةِ غَيْهَبُ (٣)

(١) المرجع السابق ، ص ٣٠٩ .

(٢) ديوان تميم ، ص ٢٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٤ .

والخليفة فى الفكر الشيعى حجة الله ، ووارث الأنبياء :

إنما أنت « حُجّة الله » لاحت ... فى البرايا ووارثُ الأنبياء
فابقَ ما شئتَ فى نموٍ من الملْـ ... ـكِ على رغم أنفِ الأعداءِ (١)

فحجة الله من صفات النبى والأئمة عند الفاطميين ، ووارث الأنبياء من الصفات ال... أضفاها الفاطميون على أئمتهم ، ويقصد بذلك أن محصول ما جاء به الانبي... قد جمع فى الأمام الإمام (٢) .

ومن القيم التى امتدح بها تميم أخاه قيمة فلسفية تمثل دعامة من دعائم الفكر الشيعى وهي أن الامامة نص لا يليها إلا الإمام المنصوص عليه :

تخالفَ الناسُ فى فضلِ الملوكِ ولم ... يأتِ الخلافُ على تفضيلك البشرِ
وكيف يعتادنا فيك الخلافُ وقد ... أتى بفضلك نصُّ الوحْيِ والسورِ (٣)

وإذا كان ابن المعتز يشيد بنسبة العباسيين إلى بنى هاشم فإن تميما يشاركه فى ذلك الشرف حين يزهو بنسبه ونسب أخيه العزيز إلى بنى هاشم .

لك الشرفُ الهاشمىُّ الذى ... يقصر عنه عُلا مَنْ عَلاَ (٤)

ولا يكتفى تميم بمجرد المشاركة فى هذا النسب الرفيع مع بقية الهاشميين بل يخص أخاه بالدرجات العليا وبلوغ مالم يبلغه غيره من السؤدد والسمو :

فإن تك هاشمٌ سادتْ وسادَهمُ ... آباؤك الخلفاءُ القادةُ الفُضُلُ
فأنتَ آخرُهم عصْرا وأفضلُهمْ ... وبالأواخر يزكو القولُ والعملُ
سادوا ولم يبلُغوا ما أنتَ بالغهُ ... كذلك الأرضُ فيها السَّهْلُ والجَبلُ (٥)

ومن القيم التى رددها تميم فى مديحه الخلفاء الفاطميين قيمة سياسية لها دلالتها على نفسية الشاعر وعلاقته بأسرته وموقفه من نقائض ابن المعتز ألا وهى قوة الخلافة وفتوتها وازدهار عصرها .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٦ .
(٢) ديوان تميم ، هامش ص ٢٦ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٨٣ .
(٤) ديوان تميم ، ص ١٢ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٣٤٨ .

إمـــامةٌ مهديّــةُ اللّـــواء   ودولـــة دائمـــةُ البقـــاء
سَالمــةٌ مــن فــتن الأهـــواءِ   ولم تزلْ سعى على سيْساءَ (١)

ولكن القيمة العظمى التى طالما رددها تميم فى شعره مادحاً ومفتخراً هى القيمة التى بنى عليها آباؤه وأجداده أحقيتهم فى الخلافة وهى نسبهم إلى فاطمة بنت الرسول وزوج على (٢) ، هذا النسب الذى لا يدانيه نسب :

أقيس بـك الأمـلاك طُـراً فــلا أرى   سواكَ زكِىِ الأصلِ والفرع والنَسَبْ
فيابــن رســول اللـّـه وابــن وصيّـه   وحسبُـك ذا جداً وحسْبُـك ذاكَ أبْ (٣)

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٧ . سِيساء أى : حد الشىء

(٢) ستتجلى هذه الفكرة بوضوح فى الفصل القادم من هذا البحث .

(٣) ديوان تميم ، ص ٦٣ .

الفصل الثالث

محاور الهجوم والدفاع

- محك النزاع .
- وسائل التفاخر .
- طرائق الهجوم .

محك النزاع

أشرت فيما سبق إلى علاقة العباسيين بالطالبيين قبل قيام الخلافة العباسية وبعدها ، وموقفهما من الأمويين .

ويؤكد تاريخ الصراع حول الخلافة الإسلامية أن كل من وليها أو طالب بها ادعى حقه فيها ، وأنه أهل لها ، وأن حقه مستمد من مصدر دينى .

وقد تلسح الأمويون فى قميص عثمان . إحقاقاً للحق وتطبيقاً لدين الله فى تنفيذ القصاص ، واتخذوه ذريعة لتحقيق مطامعهم فى الوصول إلى الحكم ، مجددين بذلك ما كان من خصومة قديمة بين «عبد شمس » وأبناء عمومتهم « عبد مناف » (١) ، وها هو الأخطل شاعر الأمويين يردد تلك المزاعم فى قوله :

ويَوْم (صِفِّيْن) والأبصار خاشعةٌ   أمدَّهم – إذ دَعوا – من ربهم مَدَدُ

على الألى قتلوا عثمانَ مظْلمةً   لم ينههم نَشَدٌ عنه وقد نُشِدُوا (٢)

ويصرح أحد شعرائهم بفضل على وفروسيته ، ولكنه يقاتله مصدقاً ذرائع الأمويين فى الأخذ بثأر عثمان .

نحن بنو ضبَّة أعداء علَىٍ

ما أنا عنْ فضْلِ علىٍّ بالعَمِى

لكنَّنِى أنعى ابنَ عَفَّانَ التقى (٣)

وتدور الدائرة على الأمويين إذ اعتبرهم العباسيون بغاة خائنين ، فعاملوهم بما يستحقون ، وعلى الباغى تدور الدوائر (٤) ، وها هو الأمير العباسى عبد الله بن المعتز يعرب عن رأيه فى موقف أسرته من الأمويين :

(١) قاد أبو سفيان قريشا لمحاربة الرسول (ص) ، وقاد معاوية جنوده لقتال على بن أبى طالب ، وانتدب يزيد بن معاوية فرقة من جيشه لقتل الحسين .

(٢) شرح ديوان الأخطل التغلبى ، ص ١٢٢ ، دار الثقافة بيروت ١٩٦٨م .

(٣) شرح نهج البلاغة ، لابن حديد ، مجلد ٣ ص ٩٧ .

(٤) راجع تحليل الدكتور طه حسين لموقف الأمويين من الخلافة فى كتابه : الفتنة الكبرى ، جـ ٢ ، (على وبنوه) ، ص ١٦٨ وما بعدها .

جَزَيْنَـا الأُمويّـينَ ودنَّاهـمْ كما دانُـوا
وذاقوا ثمرَ البغْيِ وخُنّاهُم كما خَانوا
والخَيْـرِ والشَّـرِ بكـفِّ اللّـهِ ميـزانٌ (١)

ويشارك تميم ابن عمه عبد الله بن المعتز فى سب الأمويين ويرد عليهم حقهم المزعوم فى الخلافة ، ويشمت فيهم بعد زوال حكمهم بأكثر من قرن ونصف من الزمان :

دعْ عبدَ شمس وأباطيلَها فقدْ بَدا اللّهُ بتنكيسِها
قبيلةٌ ما طهَّر اللّه من شَا يَعَهـا مـن إثـم تنجيسِها
طافتْ بحرْبٍ وهو فرعونُها طوْفَ النصارى حول قسّيسِها (٢)

وهكذا يجتمع العباسيون والطالبيون على تكذيب الأمويين فى ادّعائهم الخلافة وينكرون حقهم فيها .

وقد استبد العباسيون بالأمر دون أبناء عمهم الطالبيين ، فبماذا برروا موقفهم :

لم يعتبر ابن المعتز أهله غاصبين فهم أصحاب حق ثابت استخلصوه من أيدى الخونة الغاصبين ؛ وقتلوهم وشردوهم ، ومن قتل قتيلا فله سلبه .

قتلْنا أميةَ فى دَارِها ونحن أحقُّ بأسْلابِها (٣)

وطبيعى ألا يستوى الغاصب والسالب ، فالغاصب يملك ما لا حق له فيه . أما السالب فإنه يسترد حقه المغتصب . ومن هذا المبدأ انطلق ابن المعتز يعاتب الطالبيين لثوراتهم المتكررة على أبناء عمومتهم ، ويبكتهم لعجزهم عن الأخذ بثأرهم مبرئاً العباسيين من كل عيب أو اتهام .

فحين أخذنَا ثأركمْ من عدوكمْ قعدتمْ لنا تُوْرُونَ نَار الحبَاحِبِ
وحُزْنا التى أعْيتْكمُ ، قد علمتُمُ فما ذنْبنا ؟ هل قاتلٌ مثل سالبِ (٤)

وأمام مطالبة العلويين المتكررة الملحة يؤكد ابن المعتز أحقية العباسيين فى الخلافة ، وأن هذا الحق قد آل إليهم عن طريق الميراث ، بل ويحذر العلويين من تطاولهم على هذا الحق أو اللجاج فيه لأن أصحابه يملكون وسائل حمايته وردع المعتدين عليهم :

---

(١) ديوان ابن المعتز ، ص ٤٢١ .

(٢) دوان تميم ، ص ٢٤٧ .

(٣، ٤) ديوان ابن المعتز ، ص ٣٢ ، ص ٥ .

دَعُـوا آل عبّـاس وحـقّ أبيهـمُ   وإيّاكـمُ منهُـمْ فإنّهـمُ هُـمُ
مُلوكٌ إذا خَاضُوا الوَغى فسيُوفهمْ   مَقابِضُـهـا مِسْـكٌ وسـائرُهـا دمُ (١)

وحق الخلافة كما يدّعيه ابن المعتز ميراثٌ شرعيٌّ :

ومَلَكْنا رِقَّ الإمامة ميراثاً   فمـنْ ذا عنّا بِفَخْر يَحيدُ (٢)

وهنا يحتدم الخلاف بين ابن المعتز وتميم ؛ فيعكس لنا هذا الخلاف وجهة نظر الشيعة وأهل السنة فى قضية ميراث الخلافة فمن الأدلة التى أقام عليها الشيعة رأيهم فى وجوب إمامة على حديث المنزلة ، وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم لعلى عندما خلفه فى المدينة حاكماً عليها فى غزوة تبوك :

« أما ترضى أن تكون معى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى ؟ » .

وقد فسر الشيعة هذا الحديث تفسيراً يقضى بوجوب الخلافة لعلى ، لأن هارون خلف موسى فى قومه حين ذهب إلى ميقات ربه إذ يقول الله على لسان موسى : « اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين » . فقام فى بنى إسرائيل وبذلك كان هارون شريكاً لموسى فى دعوته . كذلك كان على إلا فيما يختص بالنبوة (٣) .

وإلى هذا الرأى يشير تَميم مدافعاً عن أحقية العلويين بالخلافة دون العباسيين :

مَنْ دَعاهُ النبىِ خدْنا وسمَّا   هُ أخاً فى الخفاءِ والإظْهـارِ
من لَهُ قالَ أنتَ مِنى كهارو   نَ وموسَى أكرمْ بهِ منْ نِجَارِ (٤)

وكانت علاقة النبى صلى الله عليه وسلم بأهله وصحابته قطب الرحى فى إثبات الفضائل وأحقية الخلافة ، وقد تحمل بر الرسول صلى الله عليه وسلم بصحابته وأهله أكثر مما يحتمل فى هذا الصراع. فالعباسيون والعلويون يروون قصة « الكساء » ويستدل كل فريق منهم على حوزه الفضل والسبق بمكانته من رسول الله ، وهذا مبرر لأحقية الخلافة من بعده .

روى الترمزى عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم – قال ياعم لا ترم منزلك أنت

(٢،١) ديوان ابن المعتز ، ص ٣٩٥ ، ص ١٥٥ .

(٣) عرض لهذه القضية الدكتور أحمد محمود صبحى ، وفصل فيها قول الشيعة وأهل السنة تفصيلا علميا موثقا أنظر : نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنا عشرية . أحمد محمود صبحى ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٩ ، ص ٢٢٣ وما بعدها .

(٤) ديوان تميم ، ص ١٨٦ .

وبنوك غداً حتى أواتيكم فإن لى فيكم حاجة ، فلما أتاه اشتمل عليه بملاءة ، ثم قال : « يارب هذا عمى ، وصنو أبى ، وهؤلاء أهل بيتى فاسترهم من النار كسترى إياهم بملاءتى هذه . . . رواه ابن غيلان وغيره ، ورواه الترمذى [1] وإلى تلك الحادثة يشير ابن المعتز ، ويرى أن العباسيين ورثوا ثياب النبى صلى اللّه عليه وسلم – وهى الخلافة ويلوم على العلويين أن يجذبوا أهدابها :

ونحن ورثنا ثياب النبى فلـمْ تَجْذِبـونَ بأهْدابِهـاَ [2]

وإذا كان العباسيون يستندون إلى قصة الكساء فى دعوى الخلافة فإن العلويين يروون قصة مماثلة ، فهم يرون أن المقصود من أهل البيت فى قوله تعالى : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » هم : (على وفاطمة والحسن والحسين) . ذلك أن الآية نزلت والنبى فى بيت أم سلمة ، وهى جالسة عند الباب فقالت يارسول الله ألست من أهل البيت ، فقال إنك على خير ، إنك من أزواج النبى ، ثم أتى بكساء فجاء الحسن والحسين فأدخلهما فيه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء على فأدخله ، ثم دعا النبى بقوله : اللهم . هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » [3] .

نحنُ أهلُ الكِساء ساَدسنا الرُّو ح أمـــين المهيْمِـــنُ الجبّـار [4]

ثم يرد على ابن المعتز فى قضية الثياب ، وما يدعيه من حق الخلافة ، ويتهمه بالجور فى القول ، والخطأ فى الحكم ، وعدم التفرقة بين المطية وراكبها :

لقد جار فى القول عبْدُ الاله وقـاسَ المطـايا بـركـّابها
ونحـن لَبسْنا ثـيابَ النبىّ وأنتــم جذَبتــمْ بهُدّابــها
ونحــــن بنـــوهُ ووُرّاثـــهُ وأهـلُ الوراثة أوْلــى بـهـا
وفينــا الإمامـة لا فيكـمُ ونحـــنُ أحــقّ بجـلْبَابـِهـا [5]

---

(١) الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية . تأليف يوسف بن اسماعيل النبهانى ، بيروت ، ١٣١٠ ، ص ١٦١ .

(٢) ديوان ابن المعتز ، ص ٢٢

(٣) أثبت ذلك أئمة التفسير كالسيوطى فى الدرر الثمينة فى الجزء الخامس ، والرازى وغيره وجماعة من المفسرين . راجع نظرية الامامة ، ص ١٨١ .

(٤) ديوان تميم ، ص ١٨٧ .

(٥) ديوان تميم ، ص ٨٠ .

ولا ينكر ابن المعتز على العلويين حق صلة الرحم بالرسول صلى الله عليه وسلم ولكنه ينكر حقهم فى الميراث :

لكـمْ رَحِـمٌ يابَنى بِنْتِـهِ ... ولكنْ بنو العمِّ أوْلى بها

وتثور ثائرة تميم لهذه المغالطة فيفندها بأسلوب لاذع ويتهم ابن المعتز ومن ردد هذه المقولة بالكذب والتزوير ، ويدعوهم إلى الاحتكام إلى كتاب الله وما قرره الإسلام فى شأن المواريث :

عجبـت لمرتكـبٍ بُغيـةً ... غـوىٌّ المقـالة كذَّابِهـا
يقـولُ فينظـم زورَ الكـلام ... ويُحْكِـمُ تنْميـقَ إذْهابِهـا
لكـم حرمـة يابنـى بنتـه ... ولكن بنـو العمِ أولى بها
وكيف يحُوز سهامَ البنينَ ... بنـُو العـم أفٌ لِغُصَّابها
بذا أنزل اللّه اى القران ... أتعْمون عن نَصٍّ إسْهابها (١)

وقد أثار ابن المعتز وتميم قضية كانت مثارة من قبل ، فقد روى المبرد فى « الكامل » أن عبد الله بن أبى رافع أتى الحسن بن على بن أبى طالب فقال : أنا مولاك فقال فى ذلك مولى لتمام بن عباس يعذله ويعيره :

جحَدْتَ بنى العبـاس حقَّ أبيهـمُ ... فما كنتَ فى الدَّعوى كريمَ العواقبِ
متـى كـان أولاد البنـات كـوارثٍ ... يحزن ويدعى والداً فى المناسـب

يريد أن العبـاس أولى بولاء مـولى رسـول الله (ص) ، لأن العم يدعى والدا فى كتـاب الله تعالى ، وهو يحوز الميراث ، وقال رجل أنشدت مروان بن أبى حفصة هذين البيتين فوقع عندى أنه من هذا أخذ قوله :

أنـى يكـونُ وليسَ ذاك بكائن ... لبنـى البنـاتِ وراثـةُ الأعْمـام
ألغى سِهامَهُمُ الكتابُ فما لهم ... أنْ يَشْـرعُوا فيـه بغيرِ سـهامَ

وقال طاهر بن على بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس للطالبيين :

لو كـان جدكمُ هناك وجدُنّا ... فتنازعا فيها لوقتِ خِصامِ
كان التراث لجدنا من دونـه ... فحواه بالقربى وبالإسـلام
حق البنات فريضةٌ معروفة ... والعم أولى مـن بنـى الأعمـام (٢)

---

(١) ديوان تميم ، ص ٨١ .

(٢) الكامل للمبرد ، جـ ٢ ص ٧٦ .

ويروى صاحب كتاب الأغانى طرفاً من اللجاج فى هذه القضية أثاره الشعراء فى عهد الخليفة المهدى . فعندما عقد البيعة لابنه الهادى قال أحد الشعراء (جعفر بن عفان) :

يابن الذى ورثَ النبىُّ محمداً ... دون الأقاربِ من ذوى الأرْحام
الوحى بينْ بنى البنات وبينكمْ ... قطع الخصام فلاتَ حينَ خصام
ما للنساء مع الرجال فرية ... نزلت بذلك سورةُ الأنعام
أنىَّ - يكون وليس ذاك بكائن ... لبنى البنات وراثةُ الأعمام

فغضب الطالبيون ، ورد عليه شاعرهم محمد بن يحيى بن أبى مسرة بقوله :

لمْ لا يكونُ وإنَّ ذاك لَكائنٌ ... لبنى البنات وراثةُ الأعمام
للبنت نصفٌ كاملٌ من ماله ... والعم متروكٌ بغير سِهام (١)

وإذا كانت الأفضلية قدراً مشتركاً بين العباسيين والعلويين أو كانت دعاوى الفضل محوطة بشىء من الشكوك فإن ابن المعتز يلجأ إلى وسائل مختلفة يؤكد بها أحقية أهله فى الخلافة ..

ومن هذه الوسائل إدعاء الأهلية والكفاءة :

ومـا رَدُّ حُجَّابُها وافداً ... لنا ، إذْ وقفنا بأبوابِها
كقطبِ الرَّحى وافقتْ أختَها ... دَعونْا بها وغلبنا بها (٢)

ولا يكتفى بادعاء الأهلية ، وإنما يستشهد بالعلويين ، ويؤكد لهم معرفتهم بذلك الأمر ، فقد اضطربت أمور البلاد أشد الاضطراب ، ولكن العباسيين أخذوا بزمام الأمور .

وكانت تُزَلْزَلُ فى العالمينَ ، ... فشُدَّت إلينا بأطنابها
وأقْسِمُ أنكمُ تعلمون ... بأنَّا لها خَيْرُ أربابِها (٣)

ومادام العباسيون أنداداً لها ، وما دمتم تعلمون هذا حق العلم فدعوها لنا :

فدَعوا الملكَ نحن بالملك أولى ... قد أقرَّت لنا بذاك الخصُوم (٤)

ومن الوسائل التى لجأ إليها ابن المعتز تشكيك العلويين فى قدرتهم على القيام بأمرها

(١) الأغانى للأصفهانى ، جـ ٩ ص ٤٩ .
(٣،٢) ديوان ابن المعتز ، ص ٣٢ .
(٤) ديوان ابن المعتز ، ص ٣٩٤ .

مستدلا بتاريخ العلاقة بين العلويين والأمويين وموقف العباسيين من الفريقين ، فالعباسيون لم يتركوا الخلافة للأمويين على الإطلاق ، مع علمهم بأنهم غاصبون ، وإنما تركوها فترة من الزمان ، وكأن ذلك الترك كان باختيارهم فلما طال زمن الغصب وعجز العلويون عن استرداده ، نهض العباسيون به .

تركناكُمُ حيناً فهلاَّ أخذتم ... تُراث النبى بالقَنا والقواضِبِ

زمانَ بنى حرب ومروانُ ممسكو ... أعنة ملك جائر الحكم غاصبِ (١)

ومن وسائل ابن المعتز فى اقناع خصومه لجوؤه إلى الأقدار يفسر بها قيام الأمر الواقع ، ويستحث الأمويين على قبوله ، إذ لابد لنا من الرضا بما قدر الله وأراد :

عَطيةُ ملْكٍ قد حَبَانا بفضله ... وقَدَّره رب جزيل المواهب (٢)

ويترفق ابن المعتز بأبناء عمه ، علهم يرضون بهذا القضاء .

فمهلاً بنى عمنا إنها ... عطيةُ ربٍّ حَبانَا بِها (٣)

والقضاء الذى حبانا بها هو القضاء الذى حرمكم منها ، وليس على الله بمستعتب :

أبى اللّه إلاَّ ما ترَوْنَ فما لكمْ ... عتابٌ على الأقدارِ ياآل طَالبِ (٤)

ولم ينهض العباسيون للقيام بهذا الأمر إلا بعد يقينهم بأن الأقدار أخطأت الطالبيين ، وبعد تأكدهم من أنه لا نصيب للعلويين فيها :

ولما أبى اللّه أنْ تملكوا ... نهَضنا إليها وقمْنا بها (٥)

وهو فى سبيل تأصيل فكرة القضاء والقدر * ومحاولة إقناع الخصوم بها يذكرهم فى نقاش هادئ بموقف المأمون منهم (٦) :

(١،٢) ديوان ابن المعتز ، ص ٥٠ .

* ردد الاستعمار الفرنسى فى القرن العشرين هذه الفكرة ، وحاول إقناع المسلمين الجزائريين بها ، وراح ينشر ذلك الكلام على ألسنة عملائه من أتباع الطرقية – وهو اتجاه دينى معروف فى المغرب العربى – فهاجمهم الإمام عبد الحميد بن باديس هجوما عنيفا . راجع : ابن باديس ، حياته وآثاره ، إعداد وتصنيف عمار الطالبى ، جـ ٣ ، ط ١ الجزائر : مكتبة الشركة الجزائرية « مرازقة » ، ١٩٦٨ ، ص ١٤ .

(٣،٤) ديوان ابن المعتز ، ص ٣٣ ، ص ٥٠ .

(٥) ديوان ابن المعتز ، ص ٣٣ .

(٦) انظر هذا الكتاب ، ص ٤١ .

وأعطـاكُـم المأمـون عَهـدُ خلافـة لنـا حقـُّها ، لكنـه جـادَ بالدنيـا
ليُعْلِمَكُـمْ أن التـى قـد حرصـتـمُ عليها وغودرْتُمْ على إثْرها صرْعى
يسـير عليـه فقـدُها غيـرَ مكثـرٍ كما ينبغى للصالحين ذوى التقـوى
فمات الرضى من بعدِ ما قدْ علمتُمُ ولاذتْ بنـا مـن بعـدِه مـرة أخـرى (١)

ويعود ابن المعتز إلى تأكيد فكرة التوافق فيصور عودة الخلافة إليهم بعد موت موسى الرضا بعودة العاشق المحروم إلى وطنه الذى يلقى فيه كل ما يهواه :

وعـادتْ إلينـا مثـلَ ماعـَادَ عاشـقٌ إلى وطـنٍ فيـه لـه كلُّ مـا يَهْـوَى (٢)

ومن وسائل ابن المعتز – تشكيك العلويين فى شعبيتهم ، فبعد أن شككهم فى قدرتهم على القيام بأمر الخلافة راح ينكر عليهم هذا الحق من طريق آخر ، وهو أن الناس لا يريدون حكومتهم :

وليـسَ يُريـدُ النـاسُ أن تملُكوهـمُ فلا تَثـبوا فيهـم وثـوبَ الجـنَادبِ (٣)

وتبدو قدرة ابن المعتز فى المغالطة واضحة هنا ، لأن العلويين لا يؤمنون بمبدأ اختيار الشعب لحاكمه ، وإنما يرون الخلافة نصاً وتعييناً ، والعباسيون لم يطبقوا الشورى مرة واحدة طوال حكمهم فلماذا يحتكم ابن المعتز إلى هذا المبدأ الذى لم يمارسه أهله ولا يؤمن به خصومه ؟ .

ومن وسائل ابن المعتز احتجاجه على العلويين بمبدأ « إتاحة الفرص » ففى رأيه أن العباسيين أعطوا العلويين فرصتهم مرتين : مرة يوم أن تولى على بن أبى طالب ، ومرة حين تركوهم يستردون حقهم من الأمويين وعملا بذلك المبدأ يقول ابن المعتز :

دُعونَـا ودُنيانـا التـى كَلِفَـتْ بنـا كما قـدْ تركناكـم ودُنياكُـم الأولـى (٤)

أما تميم فإنه لم يتعقب وسائل ابن المعتز ويرد عليها بوسائل مثلها أو وسائل مغايرة ، وإنما راح يعدد فضائل الإمام على ، وبعض هذه الفضائل مقبول من أعدائه وبعضها موضع شك . وعلى الرغم من قبول ذلك البعض فإنهم يختلفون فى تفسيره ويعلل أحد الدارسين هذه الظاهرة بقوله : إن كل فرقة تروى من الأحاديث ما يوافق عقائدها حتى إن حديثاً تلتقى عند الاعتراف بصحته معظم الفرق الإسلامية وهو حديث « تفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة » أثبتت كل فرقة بعد ذلك أنها الفرقة الناجية حسبما يوافق عقيدتها ، فإذا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم – عن الفرقة

(١، ٢) ديوان ابن المعتز ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٣) ديوان ابن المعتز ، ص ٥٠ .

(٤) ديوان ابن المعتز ، ص ٥٠ .

الناجية كان الرد عند أهل السلف (ما أنا عليه وأصحابى ، وعند أهل السنة « المتمسكون بسنتى » وعند الشيعة « شيعة أهل النبى » بل عند المعتزلة تكون الفرقة الناجية هى الفرقة العدلية ») (١) .

وينتهى تميم من تعداد فضائل شيعته إلى رد مزاعم العباسيين فى حق ميراث الخلافة رداً عاماً :

يا بنى هاشم أليسَ عَلىٌّ كاشف الكرْب والرزايا الكبارِ
فبماذا ملكتم دوننا إر ث نبىٍّ الهدى بلا استظهارِ
أبقربى ؟ فنحن أقرب للمو روث منكم ومن مكان الشعارِ
أم بإرث ورثتموه ؟ فإنا نحن أهلُ الآثار والأخطارِ (٢)

وسائل التفاخر

لعل أهم مايميز فخر ابن المعتز وتميم عن الفخر فى النقائض المعروفة لدى غيرهما من الشعراء أن الشاعرين يلتقيان فى عديد من المآثر ولكنهما يختلفان فى وجهة النظر إليها أو يطوعانها لغرض خاص ، وكان للذاتية بتكوينها وظروفها أثر واضح فى استغلال المواقف والحديث عنها ، وقد تبادل كلا الشاعرين الفخر بالذات حيناً والفخر بالانتماء إلى جهة معينة حيناً آخر وكلا الموقفين شديد الصلة بمحك النقائض.

الفخر الذاتى

امتاح ابن المعتز مفاخرهُ الذاتية من ينبوعين أحدهما الموروث عن التراث العربى الذى ردده الشعراء السابقون من قيم وأخلاق ، وثانيهما مكونات شخصيته بأبعادها السياسية والاجتماعية والنفسية ، فمن منطلق إحساسه بأهليته للخلافة دون سائر بنى العباس راح يزهو بنفسه متسامياً على الافتخار بحوزه المعالى :

قد تردّيْتُ بالمكارِم دهراً وكفتْنى نفسِى من الافْتخَارِ (٣)

ويجاريه تميم فى هذا الموقف فهو يعلو بنفسه على العلويين والفاطميين منطلقاً من إحساسه بعظمة الشاعر ودوره فى إرساء دعائم الحكم والذب عن الخلافة :

(١) نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنا عشرية . أحمد محمود صبحى ، ص ٢٤٧ .

(٢) ديوان تميم ، ص ١٨٨ .

(٣) ديوان ابن المعتز ، ص ١٩٧ .

أبني عليٍّ إنْ نكنْ نُنْمَى إلى ... حَسَبٍ أناف بنا وَجدٍّ أروعا
فلقد علمتم أنني رُضْتُ العلا ... يَفَعاً وحاولتُ المكارمَ مُرضعاً
أرْمي معاديكمْ وأجْبُرُ صَدْعَكمْ ... وأذبُّ عن أعْراضكمْ متورّعاً
فدعوا لي الذي شيدته ... إذْ هضمتموه فانطفاً وتَضَعْضَعاً (١)

والقيم التي رددها الشاعران وافتخرا بها امتداد للقيم الموروثة عن الشخصية العربية .

فابن المعتز يفتخر بالكرم وقرى الضيف وإيقاد النار تحت القدور ليلا ليهتدى به مسافر الليل وشرود الصحراء :

وقدورٍ كأنهنّ قرومٌ ... هدرتْ بين جِلّةٍ وبكارِ
فوق نار شبعى من أحطب الجزْ ... لِ ، إذا ما التظتْ رمتْ بالشّرارِ
فهي تعلو اليفاعَ كالرايةِ الحمـ ... ـراءِ تَقْرِي الدجى إلى كل سارِ (٢)

ويذكر قصة الطارق المستجير :

وداعٍ دعا والليلُ بيني وبينَه ... فكنتُ مكانَ الظنِّ منه وأفْضَلاَ (٣)

وعلى الوتر ذاته يضرب تميم متتبعاً تفاصيل القصة الجاهلية :

وطَروقٍ ليلٍ فاتَهُ مستنْبحاً ... حتّى يُخيلُ من العواء سَمَعْمَعاً
أوقدتُ ناري باليفاعِ لعينه ... ودعوته وَهْناً إليّ فأوضعَا
وقريته بِشْري فبات ممهّداً ... وألمَّ غرْثاناً فألفى مُشْبَعاً (٤)

ولا يكتفى بذلك الكرم بل يتتبع القصة بمضامينها المختلفة فيشير إلى نصرة المستغيث وإجابة المضطر إذا دعاه :

ولَربَّ مضطرٍ دعاني صارخاً ... يرجو نداىَ ونُصْرتي متكنّعاً
لبيتُهُ متسرِعاً ومطرتُهُ ... متدفّعاً ، ونصْرتهُ متطَوعاً (٥)

ويفتخر ابن المعتز بالحلم والرزانة ، ولعل أصدق مواطنهما فى الشدائد التى تطير لها أحلم العقلاء :

---

(١) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمى ، ص ٢٧١ . وفى موضع آخر يقول (يابنى فاطم إلى كم أقيكم بلسانى ومنصلى وانتصارى) ديوان تميم ، ص ١٨٨ .

(٢.٣) ديوان ابن المعتز ، ص ١٧٥ ، ص ٣٨٥ .

(٤) ديوان تميم ، ص ٢٧٠ ، ٢٧١ .

(٥) المرجع السابق .

وَمَلْـىٍّ بصـمتةَ الحلْـم إن طـا رتْ سريعا مثل الفراش الحلوم (١)

ويرتبط بالرزانة الصبر على مكايدة العدو ومكره

أخْزِنُ الغيظَ فى قلوبِ الأعادِى وأحـلُّ الجـبارَ دار الـسّفار(٢)

ويختار تميم مواقف أخرى ليثبت لنفسه صفة الرزانة ، وهى الثبات والاتزان العاطفى فى السراء والضراء :

لا تبطر السـراء بى خلقـا ولا أغـدو على ضـرائها متخشـعا(٣)

ويرتدى ابن المعتز مسوح النساك المتهدجين بالليل ليعبر عن تمسكه بدينه :

أنا من تعلمون أسهر للمسجد إذا غط فى الفراش اللئيمْ (٤)

ويتشح تميم برداء آخر من أردية التدين أيضاً هو الوفاء بالوعد :

وإذا وعـدتُ وفـيتُ لا متبرِّمـاً وإذا هممـت فعلـت لا متـوقعا(٥)

وكان للفخر بالشجاعة والفروسية أكبر نصيب من بين القيم التى افتخر بها الشاعران ، فابن المعتز يصور نفسه جيشاً بمفرده :

أنـا جيـش إذا غـدوت وحيـدا ووحيد فـى الجحـفل الجـرار(٦)

ويمارس الفروسية بإعداد الجيوش وتدريبها :

وأعـددت للحـرب العـوان مهنّدا وأسـمرخَطـيِّا إذا هـزُّ أرفـلا
وجيشا كركن الطّود رحْبـاً طريقهُ إذا ماعلا حزْنا من الأرض أسْهلاَ (٧) *

ويمتطى صهوات الخيل السريعة العدو فى طرقات الليل الموحشة :

ولقـد أهْتـدِى علـى طـرُق الليـ ـلِ بـذى ميْعـةٍ كمـيْتٍ مُطـار
بلَّل الركضُ جانبيْـه كمـا فـا ضتْ بكفِّ النـديم كأسُ العُقَارِ (٨)

(١،٢) ديوان ابن المعتز ، ص ٣٤٩ ، ص ١٩٦ .

(٣) ديوان تميم ، ص ٢٧٢ .

(٤) ديوان ابن المعتز ، ص ٣٩٤ .

(٥) ديوان تميم ، ص ٢٧٢٢ .

(٦) ديوان ابن المعتز ، ص١٩٧ .

(٧،٨) المرجع السابق ، ص ٣٨٥ ، ٢٩٦ .

ويتفقد أسلحة جيشه المتعددة :

ولى الصافنات تردى إلى المو | ت ولا تهتدى سبيلَ الفرار
وسيوفُ كأنها حين هُزّتْ | ورقٌ هزُّها سقوطُ القطارِ
ودروعٌ كأنها شمط الجعْـ | ـد وَهيناً تضل فيها المدارى
وسهام تُرْدى الورى من بعيد | واقعاتٌ مواقعَ الأبصار (١)

ولا يقل افتخار تميم بشجاعته وفروسيته عن ابن عمه عبد الله بن المعتز فهو يخوض الوغى يفرق شمل كتائب الأعداء :

وكتيبة فرقتها وشدائد | فرجتهن ولم أبت متضجعا
أقبلتها بيض السيوف عوارياً | يومَ الكريهةِ والعوالى شُرَّعاً (٢)

ويحاول تميم أن يتخذ من صفة الفخر الذاتى بالفروسية صفة ذات طابع جماعى يعممها على آله العلويين .

الفخر بالانتماء

تعددت مظاهر هذا الفخر عند الشاعرين ، واتفقا فى الانتماء إلى الهاشمية والنبوة ثم افترقا فى الانتماء إلى على ونسله والدولة الفاطمية ، وإلى العباس وأحفاده من الخلفاء العباسيين .

وعلى الرغم من الاتفاق فى النسب إلى هاشم والنبى الكريم فإنهما اختلفا فى وسيلة ذلك الانتماء وقدره وأصبح مجال النقائض فى هذه الوسيلة وذلك القدر .

الانتماء إلى هاشم بن عبد المطلب :

ردد ابن المعتز فى شعره افتخاره بالنسب إلى هاشم بن عبد مناف سيد قريش . ولما كان منافسوه العلويون ينتسبون إلى هاشم فإن ابن المعتز ينطلق من نقطة اختلاف النسب فهو هاشمى، ولكنه خص بفرع من بيت هاشم لا يلحقه العار (٣) لأنه عامر بالأمجاد :

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٧ .

(٢) ديوان تميم ، ص ٢٧١ .

* حَزْنا : أى مرتفعا من الأرض .

أسْهلا : نزل إلى المنبسط من الأرض .

شمط : أى مختلط سواده ببياضه ، والجعد : الشعر الملبد ، والمقصود بالمدارى ما يمشط به الشعر.

(٣) ديوان ابن المعتز ، ص ١٩٦ .

هاشمىٌّ إذا نسبتُ ومخصو   صٌ ببيتٍ من هاشمٍ غيرِ عَارِ

وكما انتسب ابن المعتز إلى هاشم انتسب تميم أيضاً وادعى أنه أفضل من غريمه فى ذلك الانتماء .

يابنى هاشمٍ ولسنا سواءً   فى صغَار من العلا أو كبارِ
إن نكن نَنْتَمِى لجدٍّ فإنا   قد سبقْناكمُ لكلِّ فخَارِ(١)

ولما كان العلويون ينتسبون إلى هاشم من الأب والأم فإنهم يعتبرون أنفسهم سادة بنى هاشم :

ألسْنا لُبابَ بنى هاشمٍ   وسادتكمْ عنْد نسَّابِها
ألسنا سبقنا لغاياتها   ألسنا ذهبنْا بأحسابِها (٢)

ويعترف تميم لخصومه بشرف النسب إلى هاشم لأن هذا الشرف قسمة مشتركة بينهما ولكن العلويين يتفوقون لأسباب غير هذا الانتماء :

فإنْ تكُ هاشمُ قدْ عدلْتْ   منابتنا فى عَنا صيرها
فما نستَوِى فى الحجا والندى   وطىِّ الأمورِ ومنشورِها (٣)

وأمام اعتراف تميم بشرف النسب إلى هاشم لم يجد بداً من إفساده على خصومه لا بالقدح فيه ، وإنما بربط هذا الشرف بالعلويين ، فهو نسب شريف لأنه استمد هذا الشرف منهم :

نحن الذين بهم تسامت هاشمٌ   حتى حوت شرف المعالى أجمعاً (٤)

ومن ثم أطلق تميم على أهله أنهم صفوة بنى هاشم :

واسْمُ إلى الصفوةِ من هاشمٍ   أهلِ معاليها وتقديسِها (٥)

الانتماء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

حرص ابن المعتز أن يميز نسب العباسيين إلى الرسول الكريم كحرصه على تمييز انتمائهم إلى هاشم فقد وصفهم بأنهم آل الرسول الحقيقيون لا المزعومون :

أيُّها السائلى عن الحسب الأطيبِ مافوقَه لخلْق مَزيدُ

---

(١) ديوان تميم ، ص ١٨٦ .

(٢) ديوان تميم ، ص ٨١ .

(٣) ديوان تميم ، ص ، ١٦٦ .

(٤،٥) ديوان تميم ، ص ٢٦٩ ، ص ٢٤٦ .

ويمزج ابن المعتز فخره بالنبوة بأسباب اتصاله بها ويزهو فخراً بالنسبين معاً :

نحن آل الرسول والعترة الحـ ـق وأهـل القربـى فمـاذا تريـد *
نمتّي إلى عـمِّ النبـيِّ خلائـقٌ علَوْا فوق أفلاكِ الكواكبِ والبدْرِ **

ومن معين النبوة استمد تميم مفاخره أيضاً من جوانب عدة حاول فيها أن يتفوق على غريمه فى هذا الانتماء أيضاً ، ويكرر فكرة الانتماء من جهتى الأب والأم :

إنـــــــــــــــا لأمٍّ ولأبْ يجمـــعنا خيـــر نَسَـــبْ
إلـــى النبـــيِّ المنتخَـــبْ مـــن آلِ عبـــد المطّلـــبْ (١)

وهم رهط النبى وآله وبنوه المفضلون :

رهـط النبـيِّ وآلـهُ وبنـوهُ مـنْ دونِ البنـينَ ونبتـهُ مترَعرعـاً
والمصطفَيْنَ المرتضَيْنَ من الورَى والمفضّلينَ بمـا حَوَوْهُ تَسَرُّعاً (٢)

ويحرص تميم على إثبات هذا النسب لأهله فيمتدح أخاه العزيز قائلا :

فيا ابن رسول الله وابن وصيّه وحَسْبُكَ ذا جـد وحسـب ذا أبْ
إذا عُجِمَتْ عيدانُ قومٍ فأخْلَقَتْ تفجرَ من عيدانكَ الماءُ والضَرَبْ (٣)

وتميم وإن اعترف لخصومه بالانتماء إلى النبى لكنه ليفسد عليهم مفاخرهم يدعى التفوق أيضاً فى هذا الانتماء فالعباسيون ينتمون إلى النبى من قرابة العمومة ، أما العلويون فإنهم ينتمون من قرابتين هما العمومة والأبوة :

أَلَكُـمْ حُرمَـةٌ بعـمِّ رسـولِ اللـ ـه ليسـتْ فيكـمْ بـذاتِ تَـوارِ
ولنا حرمـةُ الـولادة والأعمـام والسّـبْق والهـدَى والمنَـار (٤)

الانتماء إلى العباس بن عبد المطلب :

تعقب ابن المعتز فضائل جده العباس وهى الفضائل التى لا يشاركه فى الفخر بها خصومه

---

* ديوان ابن المعتز ، ص ١٣٧ ، ص ١٩٤ ، ط بيروت .

** السابق ، ص ١٧١ ، ط بيروت .

(١، ٢) ديوان تميم ، ص ٧٣ ، ص ٧٤ ، ص ٢٦٩ .

(٣،٤) ديوان تميم ، ص ٦٣ ، ١٨٧ .

العلويون ، وقد وجد فى سيرة جده مناقب عديدة منها موقفه فى بيعة العقبة الثانية ، فقد خرج مع الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يكن قد أعلن إسلامه بعد وتحدث إلى الأنصار قائلا : « إن محمداً من قد علمتم وقد منعناه من قومنا ، نحن وهو على مثل رأينا فيه ؛ فهو فى عز من قومه ، ومنعة فى بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه ، فإنه فى عز ، ومنعة من قومه وبلده »[١] .

وبهذا أسهم العباس منذ بداية الدعوة المحمدية فى نشر لواء الإسلام وتخليص الحجاز من براثن الشرك : ومن فضائل العباس التى تعقبها ابن المعتز ما يروى عن استسقاء الفاروق عمر بن الخطاب بالعباس فى عام الرمادة ، وإلى هذا يشير ابن المعتز فى قوله :

به غسل الله محل الحجاز وأبرأها بعد أوصابها[٢]

ومنها كتمانه إسلامه وبقاؤه فى مكة حتى يكون عينا للرسول على أعدائه المشركين دون أن يفطنوا إليه ، قال ابن إسحاق :

وحدثنى حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة مولى ابن عباس ، قال : قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت ، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمت ، وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم إسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرق فى قومه »[٣] .

وإلى هذه المأثرة يشير ابن المعتز بقوله :

كانَ فيهمْ منَّا المُكَاتِمُ إيما نا ً وفرعونُ غافلٌ والجنودُ[٤]

وكان لهذا الدور الخطير الذى قام به العباس آثاره العديدة فى مسيرة الدعوة والغزوات وقيام الدولة ، فقد أقام العباس بمكة يكتم إسلامه ، ويكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم – أخبار

---

(١) : (أ) السيرة النبوية لابن هشام . القسم الأول ، ص ٤٤١ .

(ب) الإصابة فى تمييز الصحابة . لابن حجر العسقلانى . تحقيق : على محمد البجاوى جـ ٣ : دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ١٩٧٠ .

(٢) ديوان ابن المعتز ، ص ٣٢ .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ، قسم أول ، ص ٦٤٦ .

(٤) ديوان ابن المعتز ، ص ١٥٥ .

المشركين ، وكان من بمكة من المسلمين يثقون به ، وكان لهم عوناً على إسلامهم وأراد الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم – فقال له : مقامك بمكة فأنت آخر المهاجرين كما أني آخر الأنبياء (١) :

ولـولاه مـا قـرَّتْ بطيبـةَ هجـرةٌ ولولاه لـم تَجرِ الجيادُ على بـدْرِ
أقام بدار الكفر عيناً على العِدى ينبـىّ نبـىَّ اللّهِ بالكيـدِ والغـدْرِ (٢)

فقد خرج العباس مع المشركين في غزوة بدر لا ليعينهم ولكن ليتجسس عليهم ، وقد روى ابن إسحاق عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه فى غزوة بدر إنى قد عرفت أن رجالا من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقى منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتله . . . ومن لقى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يقتله فإنه إنما أخرج مستكرهاً ; (٣) .

يشير ابن المعتز إلى مكانة العباس من قلب الرسول صلى الله عليه وسلم وحبه له ، فقد خرج العباس مع المشركين فى غزوة بدر ، وأسر يومئذ فيمن أسر ، وكان قد شد وثاقه ، فسهر النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ولم ينم ، فقال له بعض أصحابه : ما يسهرك يانبى الله ؟ فقال : أسهر لأنين العباس فقام رجل فأرخى وثاقه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالى لا أسمع أنين العباس ؟ فقال الرجل : أنا أرخيت من وثاقه فقال رسول الله (ص) فافعل ذلك بالأسرى كلهم :

لذلكَ لـم ترقـدْ جفـونُ محمـدٍ نبيِّ الهدى حتى أُريحَ من الأسْرِ (٤)

ولا ينكر تميم على ابن المعتز افتخاره بإسلام العباس سراً ، ولكنه يقارن بين موقفين موقف على وموقف العباس ، فعلى سيف الله المدافع جهارا عن الرسول وكان فى بدر ينود الكتائب ويرد الأعداء ولا يستوى موقف المجاهر بالعداء المتعرض للأعداء والمدارى أمره سلامة وأمناً :

---

(١) أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، لابن الأثير ، جـ ٣ ص ١٥٢ .

(٢) السيرة النبوية ، لابن هشام ، قسم أول ، ص ٦٢٩ ، الاصابة فى تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلانى ، جـ٣ ص ٦٣١ .

(٣) أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، لابن الأثير ، ص ١٦٤ ، ١٦٥

(٤) ديوان ابن المعتز ، ص ١٩٣ .

أعباسكمْ كان سيفَ النبىّ إذا أبدتِ الحربُ عن نابِها

أعباسكمْ كانَ فى بـذْرِه يـذودُ الكتائبَ عن غابِها

أعباسكم قاتَلَ المشركينَ جَهاراً ومالك أسلابِها (١)

ومنها أن الرسول صلى الله عليه وسلم كرم العباس يوم أن رد عليه أصول ماله ولم يرد عليه الفضل لأن الفضل ربا فكان أول رجل يطبق عليه تحريم الربا فى الإسلام . وقد روت كتب السيرة أن العباس كان ذا مال كثير متفرق فى قومه وكان يستعمل فيه الربا ولم يكن الربا محرماً حتى أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم تحريمه فى خطبة الوداع وبدأ بتطبيقه على عمه العباس فقال « إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا هل بلغت ؟ . اللهم اشهد فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها وإن ربا الجاهلية موضوع وإن أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس ابن عبد المطلب » (٢) ، وإلى هذه المكرمة يشير بن المعتز :

وردَّ عليـهِ مالَـهُ دونَ غيـرهِ فإن كنتَ ذا جهْلٍ فسَلْ كلَّ ذِى خُبْرِ (٣)

ومنها موقف العباس فى غزوة حنين ، وهى الغزوة التى أعجب فيها المسلمون بكثرتهم فحلت بهم الهزيمة قال تعالى : « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » .

وروى ابن اسحاق أن العباس بن عبد المطلب قال : إنى لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذ بخطمة بغلته البيضاء ، وكنت امرءاً جسيماً شديد الصوت ، قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى من الناس : أين أيها الناس فلم أر الناس يلوون على شىء ، فقال يا عباس اصرخ ، يا معشر الأنصار : يا معشر أصحاب السمرة قال : فأجابوا : لبيك ، لبيك . . . حتى إذا اجتمع إليه منهم مئة استقبلوا الناس فاقتتلوا (٤) » .

يشيد ابن المعتز بموقف جده العباس قائلا :

(١) ديوان تميم ، ص ٨٠ .

(٢) جمهرة خطب العرب . جـ ١ ، ط ١ الحلبى مصر ، ١٩٦٢ ص ١٥٦ .

(٣) ديوان ابن المعتز ، ص ١٩٣ .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ، قسم ثان ، ص ٤٤٤ ، ٤٤٥ .

وأبونـا حَامِـى النبـىِّ وقـد أذْ | بـرَ مـنْ تَعلمـونَ وهـو يـذُودُ
ذاكَ يومَ استطارَ بالجمـعِ ردعٌ | فـى حُنَيْـنٍ والوطيـسِ وقـودُ (١)

ويتخذ ابن المعتز من القصص التى أثيرت حول هذه الغزوة وسيلةً لإثبات الكرامة لجده العباس فقد روى الطبرى حديثاً مرفوعاً إلى جُبير بن مُطْعَم ، قال : لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البِجَاد الأسْود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم فنظرت فإذا نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادى فلم أشك أنها الملائكة ولم يكن إلا هزيمة القوم » (٢) .

ولا غرابة فى نصرة الرسول بالملائكة وهم جنود الله لكن ابن المعتز يوظف هذه القصة فى فخره بالعباس وإسناد المكرمة إليه إذ يربط بينها وبين استبساله فى الدفاع بين يدى الرسول فعندما رفع العباس أكفانه على يديه وتقدم للموت نزلت الملائكة تفتديه :

ولمـا عَـلا الحَبْـرُ أكفانَـه | هـوى ملـكٌ بيـن أثـوابِها (٣)

ولم يكتف ابن المعتز بالفخر وإنما راح يعرض بالعلويين ويتهمهم بالتخلى عن الرسول فى تلك الموقعة فالعباس وراءهم وقد ولوا الأدْبار .

ويـوم حُنَينٍ حـينَ صـاح وراءَكُمْ | فجئتمْ وكـان الموتُ أقربَ من شِبْرِ
ويامعشرَ الأنصارِ مَنْ كان عاقداً | ببيعتكمْ والدينُ فى قبْضـة الكفْرِ (٤)

ويغالى ابن المعتز فى اتهام العلويين بالتخاذل فى ذلك اليوم ويسفر عن اتهامه الحقيقى لهم بالتداعى :

ويـومَ حُنَـينٍ تداعيتـمُ | وقـد أبـدَتِ الحـربُ عـن نابِهـا (٥)

ويرد تميم هذه المفخرة على ابن المعتز ويفسر موقف العباس فى غزوة حنين بأنه فرار من مواجهة الشفار أما (علىٌّ) فقد خاض غمار الموت يضرب رؤوس الأعداء ويدافع عن الرسول :

أوْ جَعلتمْ نداءَ عباسَ فى الحـر | بِ وقـد فـرَّ عـن لقـاء الشـفَارِ
كوقوفِ الوصىِّ فى غمْـرةِ المو | تِ لضـرب الرؤس تحـتَ الغُبَـارِ (٦)

---

(١) ديوان ابن المعتز ، ص ١٥٥ .
(٢) تاريخ الطبرى ، جـ ٣ ص ٧٧ .
(٣) ديوان ابن المعتز ، ص ٣٢ .
(٤) ديوان ابن المعتز ، ص ١٩٣ .
(٥) ديوان ابن المعتز ، ص ٣٢ .
(٦) ديوان تميم ص ١٨٧ .

ومنها رئاسة قريش وعمارة المسجد الحرام وفيه الحجر الأسود وقد اتخذ ابن المعتز من هذه الحقيقة التاريخية مدعاة إلى تفضيل العباس على سائر الناس .

أبو الفضلِ أولى الناسِ بالفضلِ كلِّهمْ تعالَوْا نحاكِمْكُمْ إلى البيتِ والحَجَرْ (١)

ويرد عليه تميم تلك المفخرة أيضاً محتجاً بالآية الكريمة ، « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر » .

أجعــلتمْ سَــقْى الحجــيجِ كمــن آ مَــن باللّـــهِ مؤمنـــاً لا يـــدارِى (٢)

ويحترس تميم فى هذه المناقشة فهو لا ينكر على ابن المعتز ما ردَّده حول إسْلام العباسِ سراً ، ولكنه لا يستطيع التسوية بين من جاهَر بإسلامِه ، ومن أخفاهُ .

الانتماء إلى علّى بن أبى طالب وأهله :

ذهب الشيعة إلى أن عليا أفضل العالمين بعد الرسول ، واستحق هذا التفضيل لقرابته من الرسول قرابة متعددة الجهات فهو خِدْنُه وابنُ عمه ، وزوجِ ابنته ، وأخوه يوم آخى بين المهاجرين والأنصار ووالد سبطيه الحسن والحسين (٣) .

أفضــلُ العالمــينَ بعــد الرســولِ عنــد أهــلِ التمييــزِ والتحْصــيلِ
خِدْنـــهُ وابـــنُ عمِّـــه وأخـــوه وأبـــو ســـبْطِه وزوجُ البتـــولِ (٤)

وتميم بن المعز يفتخر بانتمائه إلى على وفاطمة وابنهما ويشيد بهذا الشرف الرفيع الذى توارثه الأبناء عن الآباء :

شــرفٌ بنْتــهُ لنــا البتــولُ وبعلُها وَأبناهُمـــا حتـــى رســـا وتمنَّعـــاَ
واســـتَوْدعُـــوهُ بعدهـــمْ أبناءَهُـــمْ فبنَـــوا عليـــه وشـــيدُواْ المسـْتَوْدَعاَ (٥)

وينكر تميم على خصومه أن يتساووا معه فى شرف الانتماء مثل الانتماء إلى على وفاطمة :

(١) ديوان ابن المعتز ، ص ١٩٣ . وأنظر : أسد الغابة جـ ٣ ص ١٦٤ .
(٢) ديوان تميم ، ص ١٨٧ .
(٣) راجع فضائل الامام على وابنيه الحسن والحسين فى كتاب : الشيعة ، ٨٠ الميزان ، محمد جواد مغنية لبنان : دار الشروق ، ص ٢١٤ ، ٢٢٠ ومابعدها .
(٤،٥) ديوان تميم بن المعز ، ٣٥٥ ، ٢٧٠ .

ومـــا لكـــمُ كوصيـــيُّ النبـــيِّ أبٌ فترامَـــــوْا بنُشَّــــابِها
ألســـنا ســـبَقْنا لغاياتِهـــا ألسْـــنَا ذهبْنـــا بأحْســـابِها (١)

وفى أكثر من موضع يردد تميم انتماءهَ إلى علّى وفاطمة ، وكأنه يدافع بهذا عن التهم التى حاكها أعداء الفاطميين حول صحة نسبهم ، فنراه حينما يمتدح أخاه العزيز يدعوه بابن على وفاطمة والرسول تأكيداً لفكرة الانتماء إليهم :

فيا ابن الوصىّ ويا ابـن البَتُول ويا أبـن نبـىٍّ الهدى المصطفَى
ويا ابـن المشـاعرِ والمروَتـيَنْ ويا بْنَ الحطيمِ ويا بْنَ الصَّفَاَ *
لك الشـرفُ الهاشِـمىُّ الـذى يقصـِّر عنـه عـُلا مَنْ عـَلاَ (٢)

ويعدد تميم فضائل جدِّه على بن أبى طالب وهى كثيرة فسيرته مليئة بالأمجاد وزادَها الشيعةُ أمجاداً بتأويلهم وتفسيرهم بعضَ آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة الشريفة . وأول تلك الفضائل سبقه إلى الإسلام صبيا *

ومن له الفضل والتقدم فى الإسـ ـــلام والناس شيعةُ الكُفـّارِ ؟؟ (٣)

ومنها مصاهرته الرسول صلى الله عليه وسلم بزواجه من فاطمة الزهراء ، ومنا مؤازرته الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل الشدائد :

من له الصِّهْرُ والمواسَاة والنصْـ ـــرةُ والحـربُ ترتمـى بالشـَّرارِ (٤)

ومنها المؤاخاة :

(٢،١) ديوان تميم بن المعز ، ص ٨١ ، ١٢ .

* أول الفاطميون مناسك الحج ومشاعره على أنها صفات أريد بها عل بن أبى طالب والأئمة بعده ديوان تميم ، هامش ص ١٢ .

* يروى ابن الأثير فى كتابه أسد الغابة عدة روايات تؤكد أن الامام على كان أسبق الناس إلى الإسلام ويقول أنه أول الناس إسلاما فى قول كثير من العلماء . أنظر : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، ابن أثير ، جـ ٤ ص ٩١ .

(٣) ديوان تميم ، ص ١٨٦ .

(٤) ديوان تميم ، ص ١٨٦ يروى ابن الأثير فى فضائل على أنه كان صاحب راية الرسول (ص) فى وقت القتال . أنظر : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، لابن الأثير ، جـ ٤ ، ص ٩٧ .

من دعاه النبى خدْناً وسماً ه أخاً فى الخفاءِ والإظهارِ (١)

ومنها اختصاصه بالدعاء له وتكريمه والإيصاء له يوم الغدير :

ثم يوم الغديرِ ما قد علمتمْ خصّه دونَ سائرِ الحضّارِ (٢)

ومنا المباهلة :

ويمن باهلَ النبىُّ أأنتم جهلاءُ بواضحِ الأخبارِ

أبعبدِ الإلهِ أمْ بحسينٍ وأخيهِ سلالةِ الأطهارِ (٣)

---

(١) المرجع السابق آخى الرسول – ص – بين المهاجرين مرة وبين المهاجرين والأنصار مرة أخرى ، وقال لعلى فى كل واحدة أنت أخى فى الدنيا والآخرة . أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، لابن الأثير ، جـ ٤ ، ص ٩٦ .

(٢) المرجع السابق يرى الشيعة أن النبى صلى الله عليه وسلم نص على امامة على من بعده يوم غدير خم وذلك بعد حجة الوداع . قال عبد الرحمن بن أبى ليلى شهدت عليا فى الرحبة يناشد الناس : من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول يوم غدير خم من كنت مولاه فعلى مولاه فقام اثنا عشر بدريا فقالوا نشهد أنا سمعنا رسول الله – ص – يقول يوم غدير خم : ألست أولى بالمؤمنين من أنفسنتهم ، وأزواجى أمهاتهم ؟ قلنا : بلى يارسول الله فقال من كنت مولاه فعلى مولاه . اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . أسد الغابة ، لابن الأثير ، جـ ٤ ص ١٠٨ .

(٣) روى جابر بن عبد الله أن وفدا من نصارى نجران قدم على النبى فقالوا يامحمد أخبرنا منْ أبوُ موسَى ؟ فقال : عمران ، قالوا : وأنتَ من أبوك ؟ قال : عبد الله بن عبد المطلب ، قالوا : فعيسى من أبوه ؟ فسكت النبى ينتظر الوحى فنزل قوله تعالى : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب » فقالوا : انا لا نجد هذا فيما أوحى إلى أنبيائنا فقال : كذبتم ، فنزل قوله تعالى : « فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » ، قالوا : أنصفت فمتى نباهلك ؟ قال : غدا ان شاء الله .. ثم بعث النبى الى أهل المدينة ومن حولها . . وخرج رسول الله وعلى بين يديه والحسن عن يمينه والحسين عن شماله ، وفاطمة خلفه ، ثم قالوا هلموا فهؤلاء أبناؤنا وأشار الى الحسن والحسين ، وهذه نساؤنا يعنى فاطمة ، ثم قالوا وهذه أنفسنا يعنى نفسه . وأشار الى على ، فلما رأى القوم ذلك خافوا وقالوا يامحمد أقلنا أقالك الله ، فقال : والذى نفسى بيده لو ابتهلوا لامتلأ الوادى بهم نارا . أنظر تفسير سورة آل عمران آية ٦١ فى كتاب روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المعانى لشهاب الدين الألوسى جـ ٣ ص ١٦٦ ط ادارة الطباعة المنبرية القاهرة .

ويفسر الشيعة قوله تعالى : « أنفسنا وأنفسكم » بأن المراد بالنفس هو على والمراد : أن نفس على مثل محمد وهذا يقتضى المساواة فيما عدا النبوة .

راجع نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنا عشرية ، ص ١٧٧ .

ومنها تكسير الأصنام يومَ فتحِ مكة :

وأولُهــا مؤمنــاً بالالــه   وأولُ هــادمِ أنصــابِهــا (١)

ومنها موقفه من الرسول يوم الهجرة :

من توطَّأ الفراشَ يخلُفُ فيه   أحمداً وهْو نحوَ يثربَ سارِ
أين كان العباس إذ ذاك في الهجْـ   ـرةِ أم في الفراشِ أم في الغارِ (٢)

ومنها جهادُه في سبيل الله وشهودُه الغزوات وبطولتهُ يومَ بدر في فتح خيبر .

وَاسألوا يومَ خيبرٍ وَاسألوا مكّة عن كرِّهِ على الفُجّارِ
واسألوا يومَ بدرَ مَنْ فارسُ الإسلامِ فيهِ وطالبُ الأوتارِ (٣)

ومنها اختصاصُه بعلم الباطن :

أعباسكم شــرح المشــكلاتِ   وفتْــح مقْفــلَ أبْوابِهــا (٤)

(١،٢،٣) ديوان تميم ، ص ٨٠ ، ١٨٧ ، ١٨٨ .

(٤) المرجع السابق ص ٨٠ . يشرح قاضي قضاة الخليفة الفاطمي المعزلدين الله « النعمان بن محمد » في كتابه تأويل الدعائم « اختصاص الوصي بعلم الباطن في مذهب الشيعة بقوله : ان مثل الولاية مثل أولاطق وقد جمع الله له علم النبيين ، وكان مستودعا عنده مستورا باطنا ، وعنه انتقل الى واحد بعد واحد من أنبياء الله وأئمة دينه . وكل من أثبت ولاية الأمة من أهل بيت رسول الله – ص – بالحقيقة أثبت حقيقة العلم الباطن ، ومن أنكر ولا يتهم أنكر الباطن ، ولأن العلم بالباطن لا يوجد الا عند الأئمة صلى الله عليهم وسلم ، وهم خزنة علمه وهو معجزتهم أبانهم الله بعلم التأويل كما أبان جدهم محمدا صلى الله عليه وسلم بالتنزيل وجعله معجزته وأعجز الخلق جميعا أن ياتوا بمثله ، وكذلك أعجزهم عن علم التأويل وجعله في أئمة دينه من آل الرسول » وفي موضع آخر يذكر قول الرسول – ص – « انا مدينة العلم وعلى صلى الله عليه وسلم بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب ومنه قوله تعالي : « واتوا البيوت من أبوابها » .

أنظر : تأويل الدعائم . النعمان بن محمد . تحقيق : محمد حسن الأعظمي ، الجزء الأول ، القاهرة ، دار المعارف ، ص ٦١ ، ص ٨٦ .

ويروى أن عليا قال لرسول الله – ص – حين بعثه إلى اليمن . تبعثني إلى اليمن ويسألونني عن القضاء ولا علم لي به . فقال ، أدن ، فدنوت ، فضرب بيده على صدري ، ثم قال : اللهم ثبت لسانه واهد قلبه . انظر ، أسد الغابة لابن الأثير جـ ٤ ص ٩ وصحيح البخاري « كتاب فضائل أصحاب النبي (صلعم) ، باب مناقب على رضى الله عنه .

وبعد أن يسرد تميم العديد من مفاخر على ومواقفه ينكر على العباسيين المساواة فى الفضائل :

لَيس عباسُكم كمثل علىٍّ   هل تقاسُ النجوم بالأقمارِ (١)

ويعترف ابن المعتز بشرف على وأبنائه :

وعلى فكَأبْنهِ غيرَ شكٍ   واجبٌ حقُّهُ علينا عظيمُ (٢)

ومن ثم فهو لا يقارن العباس بعلى وإنما يعقد مقارنة بين العباس وأخيه أبى طالب ، ومعروف أن أبا طالب مات على الجاهلية أما العباس فقد بادر بالإسلام سراً وأعلن إسلامه يوم الفتح ومات على الإسلام :

أأبو طالبٍ كمثلِ أبى الفضـ   ـلِ أماً منكُم بهذَا عليمُ

سائلوا مالكاً ورضوانَ عن ذا   أين هذا وأين هذا مقيمُ (٣)

الانتماء إلى الدولة العباسية :

افتخر ابن المعتز بدولته من خلال دعواه أحقية الخلافة ولم يكثر من الإشادة بها مثل إكثاره من الإشادة بفضل جدِّهِ العباس ، ومع ذلك فإننا نراه يعتز باتساع ملكها وبسط سلطانها فيقول :

ولنا ما أضاءَ صبْحٌ عليه   وَأتتْهُ آياتُ ليلٍ مسوَّدِ (٤)

ويمتدح ابن المعتز الخليفة العباسى المعتضد ويشيد بمفاخره ويعرض بالعلويين :

لقد شدَّ ملك بنى هاشم   وأبدله بالفسادِ الصَّلاحاَ

إمامٌ أعادَ الهدى عدلهُ   ولاقى به المرتَجونَ نجاحاَ

تحورُ على الدهرِ أحكامهُ   ويأخذُ ما سادَ منه اقْتراَحا

وردَّ علياً إلى قربهِ   كما ردُّ بازٌ إليه جَناحاً

وما زالَ يسهرُ منْ جَدّهُ   وَيَتبعُهُ الحزمُ حتى استْراَحا

ويعفو ويصفحُ عن معشرٍ   ويُخْضِبُ من آخرينَ السِّلاحَا

وينكر تميم على ابْن المعتز مفاخرَه بدولة العباسيِّين لأن هذه الدولة فى نظر تميم قامت على أساس من الدعوة للعلويين ثم سرقَها العباسيون ، فقد أعلن الدعاة للثورة على الأمويِّين أنها للرضا

(٢،١) ديوان ابن المعتز ، ص ١٨٦ ، ٣٩٤ .

(٤،٣) ديوان ابن المعتز ، ص ١٥٥ ، ١٤٣ .

من آل محمد واستجاب الناس لذلك اعتقاداً منهم بأن المراد بالرضا من آل محمد هم أبناءُ علّى وفاطمةَ ، ومن هنا اعتبر تميم أن العباسيين دعاةُ العلويين ، فالإمامة للعلويين والوزارة للعباسيين .

بنـا صـلّتمُ وبنـا طُلّتـمُ ... وليـسَ الـولاةُ ككتّابِهـا (١)

فلماذا الافتخار ولماذا التضليل ؟

عَجَبـاً لمفتخـر بعباسـيةٍ ... يُزجـى القـوافى ضلّةً وتخـدُّعا

واللّه لاستَروا الضحى بأكفهمْ ... أبداً ولا منَعُوا السنَا أن يلْمَعَا (٢)

الانتماء إلى الدولة الفاطمية :

أما افتخار تميم بدولته فيحيطه بذلك المبدأُ الذى يؤكد فيه صدقَ ما يدعيه ويهاجم دعاوى خصومه فى مفاخرهم بدولتهم :

لا ندّعـى ما ليس يعرفـه الـورى ... منّا إذا كـذّب المُفاخـرُ وادّعـى

وإذا تَصنّع للعـلا مُتصـنّعٌ ... لم نـأتِ أفعـالَ الجميـلِ تَصنُّعا (٣)

ثم يعدد تميم مآثر الفاطميين فيصفهُمْ بالتدين كوسيلة للتقرب إلى اللّه تعالى والكرم وشدة العزيمة والشجاعة فى الحروب والحنكة فى السياسة :

نحـن الذين بنـا الكتـاب منـزّلٌ ... وبنا يجيبُ اللّه دعوةَ منْ دعـا

ولنا الندى ولنا السُّدى ولنا الهدى ... ولنا الجَدا ولنا الردّى يومَ الوغـىَ

والحازميـنَ العـازمينَ شـهامةً ... والقائليـنَ الفاعليـنَ تبرُّعـاً

والفاتقيـنَ الراتقيـنَ سياسـةً ... الطاعنِين الضاربينَ تشجُّعاً (٤)

ولا يكاد تميم يترك أحداً من خلفاء الدولة الفاطمية إلا أشاد به واعتز بانتمائه إليه .

أنـا ابـن المعـز سليلِ العـلاَ ... وصنْوُ العزيـزِ إمـامِ الهـدى

سـمَا بـى معـدٌ إلـى غايـةٍ ... مـن المجدِ مـا فوقـهَا مرتقَـى

فرحـتُ بهـا فاطمىُّ النجـارِ ... حُسَـيْنيَةٌ علَـوِىُّ الجَنَـى (٥)

(١، ٢) ديوان تميم ، ص ٨١ ، ٢٧٢ .

(٣ ، ٤) ديوان تميم ، ص ٢٧٠ .

(٥) ديوان تميم ، ص ٨ ، ٩ .

وقد ورث من آبائه الفاطميين صفات الكرم والشجاعة وحنكة السياسة وعفة النظر :

ورثـــتُ سياســـةَ مهديّهـــا وحــزْتُ شــجاعةَ منصـورِهـاَ
ولـم أنحـرفْ عـن سَجايا المعزّ وقائمـــه يـــومَ تقريرِهـــا
ولـم ألـقَ مـِنْ ناظـرِي نظـرةً إلـى منظـرٍ غيـرِ منْظُورِهـا (١)

طرائق الهجوم

لم يستخدم الشاعران أسلوب الفحش أو الإقذاع فى الهجاء الذى اشتهرت به النقائض ، فلم يتناولا نهش الأعراض أو السباب بالكلمات النابية أو الإسفاف فى الخصومة على الرغم من تفاوتهما فى مواقف الهجوم .

ولعل ابن المعتز كان موتوراً أكثر فى هجائه ، ومع ذلك فهو يبدو معاتباً أكثر منه هاجياً ، وتلوح نغمة العتاب جلية فى ندائه لهم :

(١) أسلوب العتاب :

بنى عمّنـا عـودُوا نعـدْ لمـودّةٍ فإنا إلى الحسنى سراع التعطُّفِ
وإلا فإننـــى لا أزالُ عليكـــمُ محالفَ أحـزانٍ كثيـرَ التلهـُّفِ
لقد بلغ الشيطانُ من آلِ هاشـمٍ مبَالغَةً من قبـلُ فـى آلِ يوسـُفَ (٢)

ونلمس روح العتاب فى أمور متعددة منها هذا النداء الودود « يا بنى عمنا » ومنها وصف الشخصية العباسية بأنها سريعة التعاطف مع الحسنى ، ومنها هذه الأنة المكظومة فى نفس الشاعر إذ لم يستجب بنو عمه لنداء الوفاق ، ومنها تصويره المأساة كلها بأنها وقيعة الشيطان الذى أحدث الفرقة قديماً بين يوسف وإخوته .

ويعلن ابن المعتز عن الصراع الدائر فى أعماقه بين عاطفة القربى وما تتطلبه من واجبات الولاء ورعاية الشرف وهجومه على بني عمه وإراقة دمائهم على أيدى العباسيين :

وعزيـــز علـــىّ أن يَصْبـِغَ الأر ضَ دمٌ منكـــمُ علـــىّ كريـــمُ
غيرَ أنّا من قد علمتمْ ، ولا يصْـ ـلحُ مـن زعمكـمْ علينـا زعيـمُ
لـو تهيّـا هـذاَ ، ولا يتهيّـاَ ، لتهـاوتْ مـن السـماءِ النجـومُ (٣)

---

(١) ديوان تميم ، ص ١٦٧ .

(٢) ديوان ابن المعتز ، ص ٣٢٧ ، ، ٣٥٠ ط بيروت .

(٣) ديوان ابن المعتز ، ص ٣٩٤ .

ويتجسد هذا الصراع فى المقابلة بين أمرين :

أولهما : ما أشار إليه فى البيت الأخير وهو اضطراب الكون وقيام الساعة لو فقد بنو العباس ملكهم .

والثاني : ما توحي به عبارات البيت الأول من إحساسه بالألم لقتل العلويين ووصف دمائهم بأنها دماء كريمة عليه .

ويذكرنا ابن المعتز فى موقفه هذا بموقف الشاعر الجاهلى حين يقول :

ونَبكي حينَ نقتلكمْ عليكمْ ونقتلكُمْ كأنـّا لا نبالـي (١)

ويكاد ابن المعتز يعتذر للعلويين عن موقفه من قتالهم بل يتعجب من هذا الأمر فما كان له أن يتوقع يوما أن يقتل بسيفه أو يهاجم بسلاحه الذى بين يديه ، ثم يَنْحو باللائمة على أبناء عمه ، فقد بيتوا الشر وأضمروا الضغينة ولم يجد الشاعر بداً من القضاء على الشر قبل أن يستفحل أمره وعلى الضغينة قبل أن تؤتى ثمارها .

وما كنت أخشى أن تكون سيوفُنا تـَرُدّ علينـا بأسَـها وتُقتـّلاَ
ولما أسنُّوا الضغنَ تحتَ صدورهمْ حَسـَمْناه عنـّا قبلَ أن يتكَهـلاَ (٢)

وقد طال عتاب ابن المعتز ولم يجد ذلك نفعاً فى نظره فماذا يصنع :

نصحتُ بنى رَحمى ، لو وَعَواْ نصيحـةَ بـرّ بأنْسـابِها
وقـد ركبُوا بغْيهـم وارتقَواْ بـزلاّءَ تـُردِي بركّابِهـا
وراموا فَرائسَ أسْدِ الشّرَى وقـد نَشبتْ بيـْنَ أنيابِهـا
دَعُوا الأسْدَ تفْرِسُ ثم اشْبَعواْ بمـا تـَدَعِ الأسـدُ فى غَابِهـا (٣)

فموقفه هنا يختلف عن مواقفه السابقة إذ نراه يمزج النصح بالتهديد والاستعلاء وتبدو مظاهر العنف هنا فى استخدامه النداء « بنى رحمى » فهو حين يتودد إلى الطالبيين يناديهم بأبناء العمومة وحين يجفوهم يدعوهم : بنى الأرحام لا سيما أن الشاعر فَضّل بنى الأعمام فى الميراث على ذوى الأرحام وأقام على ذلك فكرته فى حقهم المزعوم فى ميراث الخلافة وإذا كان فى المواقف السابقة من الهجوم يدعوهم إلى الحسنى فإنه فى هذا الموقف يطلب إليهم أن يكونوا مواطنين من

(١) قائل هذا البيت رجل من بنى عقيل . راجع ديوان الحماسة لأبى تمام ، شرح المرزوقى ، القسم الأول ، ص ٢٠١ ط ٢ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

(٢ ، ٣) ديوان ابن المعتز ، ص ٣٨ ، ص ٣٢ .

الدرجة الثانية أو الثالثة فعليهم أن يشبعوا مما تركه السادة الحاكمون ثم يعرض بهم الشاعر ويهددهم حين يصفهم بركوب البغي وأن هذا الطريق يسلم ركأبه إلى الهلاك .

(٢) التبكيت :

ومن أساليب ابن المعتز في هجائه الطالبيين أسلوبُ التعبير الذي يحمل في طياته عناصر التبكيت والفخر والتهديد فلطالما عيرهم بموقفهم من الأمويين

ألا ربَّ يـوم قـد كسـوْتُمْ عمائمـاً ۝ من الضربْ فى الهامات حمرَ الذوائبِ
فلمـاً أراقـوُا بالسـيوفِ دماءَكـمْ ۝ أبْينـاً ولـم تمـلكْ حَنـينِ الأقـاربِ (١)

ويبالغ في التبكيت والأذى بتصوير مقتل الحسين واتهام العلويين بأنهم قتلوه بسيوفهم ظمآن ، وقد ارتسمت على وجهه الشريف كل دلائل الحيرة والهلاك .

وأسْـيافٍ لكـمْ أودَى ۝ حسـينٌ وهـو ظمـآنٌ
يـرى فـى وجهـهِ الجهـمِ ۝ لوجـهِ المـوتِ ألـوانُ (٢)

ويعد أن يثير هذه الذكرى وما أحاطها به من انفعالات يزهو بقومه العباسيين الذين أخذوا بثأر الحسين مبكتاً بذلك العلويين لعجزهم عن الأخذ بثأر جدهم :

ولـولا نحـن قـد ضـاع ۝ دم بِالطُّـفّ مجُـانٌ (٣)

ويستغل ابن المعتز قضية الصراع بين الأمويين والطالبيين وموقف العباسيين من أبناء عمومتهم في ميلهم إلى رأب الصدع وترك الخلاف والمبادرة إلى الشكر لا إلى الحرب

ونحـن رفعنـا سـيف مـروان عنكـم ۝ فهلمكـم يا آل أحمـد فـى الشـكر

ويستغل ابن المعتز مقاتل الطالبيين لتبكيتهم سواء أكانت على أيدى الأمويين أم العباسيين فيذكرهم بالهزائم المتكررة التي لحقت بهم على أيدى العباسيين كلما أثاروا الفتنة وأيقظوا الشر :

وجَرُّوا إلينا الحـرب حتى إذا غلـت ۝ وفارتْ رأوا صبراً على الحربِ أفْضَلا
وعـانوا عيـاذاً بالفـرار وقبلـه ۝ أضاعوا بدار السلم حـرزاً ومعقـلاَ
بنـى عمِّـنا أيقظتـمُ الشـرَّ بيننـاً ۝ فكانتْ إليكـم عـدْوة الشـرُّ أعْجـَلاَ
فصبراً على ما قدْ جررتُـمْ فإنكـمْ ۝ فتَحْتم لنـا بابـاً مـن الشـرِّ مُقْفَـلاَ (٤)

(٣.٢.١) ديوان ابن المعتز ، ص ٢٥٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ .

(٤) ديوان ابن المعتز ، ص ١٩٣ .

وتردد ابن المعتز بين الهجوم المكثف والمناوشات عله يسترضى خصومه فإذا لم يفلح فى إقناعهم فإنه يتهمهم بالجهل والجنون .

عذلتُ بنى عمّى وطابَ بهم عَذْلى   لعلهمُ يوماً يفيقونَ من جَهْلِ
معافينَ إلا من عقولٍ مريضةٍ   كم من صَحيحِ الجسمِ خلْوٍ من العقْلِ (١)

ويضيق ابن المعتز ذرعاً بالعلويين فيشتد غضبه فى حوارهم ويغلظ القول لهم :

وَدَأْبُ العَلَوِيينَ   لهم جَحْدٌ وكُفْرانُ
فهلا كانَ إمساكٌ   إذا لم يكُ إحْسانُ (٢)

ويثورفى وجوههم معلناً ضجره مؤكداً أنهم كالأطفال فى مطالبهم يتشبثون بما لا يطيقون :

يا بنى عَمِّنا إلى كمْ وحتّى   ليسَ ما تطلبُونَه يستقيمُ
أبدا فارغينَ إنْ تطمعُوا الملـ   ـك كما نِيدَعن رضَاعٍ فطيمُ (٣)

ويتعجب من مواقفهم ويفسرها بالحقد المرير الذى ملأ نفوسهم لإحساسهم بضآلة نسبهم ، وضياع أمجادهم فى الوقت الذى ارتفع فيه مجد العباسيين ولم يملك العلويون إخفاء مشاعرهم فأصبحوا عونا للزمان الجائر ومصدراً للهم والأذى وليس هذا شأن أبناء العمومة :

فسبحان ربِّى ما لقومٍ أرى لهمْ   كوامنَ أضغانٍ عقاربُها تَسْرِى
إذا ما اجتمعْنا فى النديِّ تضاءَلواُ   كما خَفِيَتْ مرضَى الكواكبِ فى الفجْرِ
بنو العمِ لا بل هم بنو الغمِّ والأذى   وأعوانُ دهرِى إن تظلمتُ من دهْرى
وغاظهمُ المجدُ الذى لا ينالُه   لئيمٌ ولا وانٍ ضعيفٌ عن الوتْرِ
فدونكُمُ الفعلُ الذى أنا فاعلٌ   فإنكمُ مثْلى إذاً ، ولكمْ فَخْزِى (٤)

(٣) المبالغة :

ويبالغ ابن المعتز فى تهديد خصومه ، ويذكرهم بقدرته على حماية العرش والويل لمن يقترب منه ، فالهرب الهرب وإلا فالموت الزؤام والعاقبة أدهى وأمر :

وإيّاكمُ إياكمُ وحذارِ من   ضَراغمةٍ فى الغابِ حُمرِ المخالبِ
ألاَ إنّها الحربُ التى قد علمتمُ   وجربتمُ والعلمُ عندَ التجاربِ (٥)

(١،٢،٣) ديوان ابن المعتز ، ص ٣٨٦ ، ٤٢٢ ، ١٩٢ .

(٤) ديوان ابن المعتز ، ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

(٥) ديوان ابن المعتز ، ص ٥٠ .

ويؤكد تحذيره مصوراً قومه بالأسود وعرشهم بماء فى غابة يشربون منه وإلحاح الطالبيين بإلحاح طائر يحوم حول هذا الماء وهيهات أن تكون له نجاة من تلك الأسود :

واحذروا ماء غابةٍ لم يزل طا ... ئرُ حِرصٍ عليه منكمْ يَحُومُ

إن فيها أسْداً ضراغم أشْباً ... لَ رعيل لم ينجُ منها كَليمُ (١)

(٤) الهجاء الهادىء :

وتبدو نغمة الهجاء الهادىء عند تميم أوضح منها عند ابن المعتز فهو ينصح خصومه بعدم إزعاج أنفسهم ، وتكدير صفو حياتهم بهذا التشبث السفيه ، وتلك المفاخر الكاذبة :

ولا تَسْفَهُوا أنفساً بالكِذابِ ... فذاكَ أشدُّ لإتْعابِهَا (٢)

وكأنه يحلل موقف الهاشميين تحليلا متكاملا ، ويبتعد بنفسه قليلاً عن ميدان المعركة ليرى مسرحَها بنظرةٍ شاملةٍ ، وكأنه مشاهد مباراة وليس طرفاً فيها فيقيم الموقف بأسره فى حكم موجز صادر عن نفس متماسكة فيقول لخصومه :

ولم ترثُوا غيْرَ أنسَابِكمْ ... ولكن وُلِعْتُم بتكْديرِها (٣)

وتميم فى هجومه على خصومه يمزج الفخر بالهجاء ، وتعلو نغمة الفخر عالية وتلوح بين الحين والحين صورة الخلافة فى الفخر والهجاء فيأمر خصومه بالكف عن المطالبة بها والبعد عنها :

فاصْدُروا عن موارِد المُلْك إنّا ... نحنُ أهلُ الإيراد والإصْدارِ

ولنا العِزّ والسموُّ عليكمْ ... والمساعِي وقطبُ كل مَدارِ (٤)

ولا يشتط تميم فى هجاء العباسيين ، ولعل موقف الدفاع عنده أوضح من موقف الهجوم ، ويكتفى بالرد على هجوم ابن عمه بوصفه بالجور والظلم والخطأ والتطاول والضلال :

ألا قلْ لمنْ ضلَّ منْ هاشمٍ ... ورَامَ اللحوقَ بأربابِها

أأوسَاطُها مثلُ أطرافِها ... وأرؤسُها مثلُ أذنابِها (٥)

وأمام تهديد ابن المعتز وتعييره له فإنه يحاول أن يرد هذا الهجوم فيسب الأمويين ويهجوهم هجاء عاما :

---

(١) ديوان ابن المعتز ، ص ٣٩٤ .

(٢) ديوان تميم ، ص ٨١ .

(٣،٤) ديوان تميم ، ١٦٧ ، ١٨٨ .

(٥) ديوان تميم ابن المعتز ، ص ٨٠ .

قَبيلــةٌ أفضــلُها شــرُّهَا — لا أشْرفَتْ عن حالٍ مرءوسِــها
فإنّهــا أولــى بإتْعَاســـِها — ولعنُهــا مــن لعــْنَ إبليســِـهَا (١)

ويقابل تميم ابن المعتز بتهديد مماثل لا سيما أن دولة الفاطميين قد أقامت عاصمتها فى مصر على أنقاض حكم العباسيين :

لا تُغْطُوا بحيفكمْ واضـحَ الحـ — ـقّ فيفضـي بكم لكلّ دَمــّارِ
وأصيخُوا لوقعــة تمــلأ الأر — ضَ عليكــمْ بجحْفـَلٍ جــَرارِ
تحــتَ أعلامــهِ مــن الفاطمـيـ — ـين أسـودٌ تُدْمِي شبَا الأظْفَارِ (٢)

ولا نرى عند تميم هذا الصراع الدافىء الذى رأيناه عند ابن المعتز ، فهو لا يقابل فكرة الهجاء بمثلها إلا قليلا ، وفى هذا القليل لا يرده رداً متحمساً ويكتفى بإطلاق تهديدات عامة ، وكأنه لا يريد أن يصيب مقتلا أو يدمى جرحاً أشبه ما يكون بفرق المطاردة فى المظاهرات الشعبية ، فنراه مرة يدعوهم إلى عدم التطاول على أهله :

فـدعُوا خطــّة العُـلا لذويهـا — من بنى بَيْـتِ أحمـدَ الأبـرارِ
أو فلومـوا الإلهَ فـى أنْ يرانـا — فوقكم وَاغْضبوا على المقدار (٣)

ومرة أخرى يهاجم تميم الهاشميين هجوماً طائش الطلقات ويدعوهم إلى العمل البناء وترك الطيش الذى عاش فيه آباؤهم من قبل ، وأن يقتدوا بهم فى إقامة صرح المعالى :

دعُوا لِى العـلا دونَ سَاداتكمْ — فإنــى سـُورٌ علــى سـُورِهاَ
وإنــى نهضــتُ بمكســـُورها — وأنســتُ وحشــةَ مهجُورهــا
وأنتمْ تَطــُونَ ثُنَابَــى العــُلا — وتزدحَمــونَ علــى زُورِهــا
مــلأتْ عيونكـــُمُ بالغُبـــَارِ — فحســـبُكُمُ مســـخُ تَغبيـــرِها
ولا تفعلــوُا فعـــلَ آبائكـــمْ — فَتَخْطُـونَ خطْـوِى بتَطْهِيرِهـا (٤)

ويبدو أن تميما لم تهزه أهاجى ابن المعتز فاقتنع بهذه الردود ، ونسب إلى نفسه من الفضائل ما نسب ثم عقب على هجاء ابن المعتز بأنه لن ينال منه شيئاً ويرد دوافعه بالحقد والحسد :

وطــاوٍ علــى حَســد كشــحَهُ — قديــمِ العــداوةِ مشــهورِها
يُســاءُ بكسـبِى العُـلا كُلّمــاَ — أغرْتُ بجـودِى علــى عيرِهــا (٥)

(١) ديوان تميم ابن المعتز ، ٢٤٧ .
(٢) ديوان تميم بن المعتز ، ص ١٨٨ .
(٣،٤) ديوان تميم ، ١٨٧ ، ١٦٦ .
(٥) ديوان تميم ، ص ١٦٦ .

الفصل الرابع

بوتقة الاختبار

- السمات العامة .
- الفارس والموقعة .
- التعبير الشعرى .

السمات العامة

تختلف طبيعة الهجوم والدفاع فى نقائض ابن المعتز وتميم بن المعز عن النقائض المعروفة فى الأدب العربى اختلافاً متعدد الأبعاد .

أولا : من حيث الرؤية المعاصرة : تبدو نقائض جرير وخصومه – مثلا – وكأنها لون من ألوان المسرحيات الهزلية التى تقال لإمتاع الناس وإضحاكهم وكأنها تعبير عن حالة شعورية مفعمة بالسرور ، سرور الممثل القادر على إمتاع جمهوره ، وسرور النظارة بما تراه من نماذج بشرية مضحكة ، أو هى بمنظار آخر [1] لون من ألوان المصارعة الحرة أو مباريات ألعاب القوى يجول فيها المتصارعون فى جو يغمره اضطراب الأعصاب وتوتر الشعور .

أما نقائض ابن المعتز وتميم فهى تجسيد لقضية الإنسان المعاصر الدائب البحث عن حقيقة ذاته ودورها فى إطار ما يحيط به ، إذ تتشابه الأنماط وتختلف الجواهر ، وتتسق المقدمات وتختلف النتائج ، ويختلط الحق بالزيف اختلاطاً وجدانياً حيناً وعقلياً حيناً آخر ، فللسبب ذاته يدعى كلٌ حقاً مختلفاً ، والخبر عينه يدعيه كلا الخصمين ، وهكذا تتداخل الأمور تداخلا يدعو إلى التفكير والتأمل ، بكل ما يحمله التأمل من مرارة الحيرة ولذة إعمال الفكر .

ثانيا : ومن حيث الدافع فإن نقائض جرير وخصومه كانت تركز اهتمامها على جذب انتباه الناس فى عصرها – كيفما كان ذلك الجذب – يشاركون فيه بأعصاب مشدودة أو مسترخية ، غاية الأمر أن يكفوا عن السياسة ، وما يدور فيها حتى لا يفسدوا على بنى أمية تحقيق أغراضهم فى تبديل سنة الحكم وما ترتب على تلك الخطوة الجريئة من أحداث . أما نقائض ابن المعتز وتميم فدوافعها مختلفة عن ذلك من جهة ، وتختلف لدى كل منهما عن الآخر من جهة أخرى . فهى لا تهدف إلى إلهاء الناس عن السياسة ، بل تدعوهم إلى الخوض فى أعماقها بشتى الوسائل والمثيرات ، وابن المعتز يتذبذب بين أطماعه الشخصية ، والمواقف الأسرية مدفوعاً بالمجاملات ، أو الحفاظ على الذات . وتميم تتزاحم فى نفسه الدوافع فهو يريد أن يجرب قلمه فى الدفاع عن أهله ، ويريد أن يطاول غريمه الشهرة الفنية ، ويحب أخاه حباً صادقاً ، ويدافع عن ملك وصلوا إليه بعد طول عناء وتضحيات .

---

(١) جرير ونقائضه مع شعراء عصره ، د . محمد عبد العزيز الكفراوى ، القاهرة ، نهضة مصر ، ١٩٥٨ ، ص ٢٨ وما بعدها .

هذه الأغراض المختلفة أملت على تلك النقائض مسيرة تختلف طرائقها ووسائلها عن غيرها من النقائض .

ثالثاً : ومن حيث المحل : كان الهجاء فى نقائض جرير وخصومه أبرز سمة وأقرب طريق إلى تحقيق الأهداف ، أما المحل فى نقائض ابن المعتز وتميم فهى السلطة وأحقيتها ومبررات الاستحواذ عليها . وقد يتناول تميم أو ابن المعتز قضايا غير مباشرة فى السلطة لكنها كانت تدور فى فلكها ، فالتباهى بالذات أو الأصل أو النسب ما هو إلا مبرر للحصول على السلطة والهجوم على الخصوم وقد يفلح أحد الخصمين في إثارة مشاعرنا بفكرة فخر أو هجاء ، لكن الإمتاع فيها لا يتأتى من جانب غمز مشاعر الزهو أو الشماتة فى نفوسنا ، وإنما من زاوية التأثير العقلى فيما يهدف إليه من غايات .

ولعل أوضح ملامح الفخر الذاتى عندهما وأوفاها نصيباً هو الفخر بالفروسية والشجاعة ، ولهذا دلالته فى موطن الدفاع عن قضية الخلافة ، فالفخر هنا لم يكن فخراً مستقلا ، وإنما كان شديد الصلة بجوهر القضية ، فالفروسية بالسيف تتواءم معها وتجاريها فروسية الكلمة .

رابعاً : ومن حيث الوسائل فإنه كان من الطبيعى أن تختلف الوسائل باختلاف الغايات ، فالإقذاع فى الهجاء والإسفاف فى السباب والألفاظ الجارحة كانت وسائل نقائض جرير وأصحابه على الرغم مما يقال : إن الألفاظ فى هذا الفن فقدت مدلولاتها الحقيقية التى تدل عليها فى أذواق الناس فى عصرهم إذ تخطوا تلك الدلالات إلى ما يطربهم أو يمتعهم من مظاهر الكر والفر (١) .

أما نقائض ابن المعتز وتميم فإنها استمدت لبنات بنائها من أحداث تاريخية وقضايا فلسفية ومبادىء وأفكار مذهبية ، وترتب على اختلاف الوسائل اختلاف المنهج .

ففى الوقت الذى حرص فيه المتخاصمون فى نقائض جرير وأصحابه على تبادل النقائض بطريقة تكاد تكون تعقيباً ، فإن تميما لم يتعقب ابن المعتز فى كل ما قاله ولم يجادل كل فكرة أشار إليها ، وذلك لسببين : أحدهما عدم المعاصرة وثانيهما : اختلاف البيئة الأدبية ونمط الشخصية وموقف كل منهما من القضية التى يدافع عنها .

---

(١) جرير ونقائضه مع شعراء عصره ، د . محمد عبد العزيز الكفراوى ، مرجع ٢٨ ، ص ٢٧ .

خامساً : ومن حيث الشكل فإننا نلاحظ عدة أمور : منها أن نصوص الشعر التى تناولها الشاعران - هنا - لم تتفق كلها فى البناء الفنى لشروط النقيضة وذلك لأن هدف المناقضة هنا ارتبط بمدلول آخر هوالدفاع عن المذهب العقائدى ، من خلال الموقف الأسرى فبعض النصوص جاء متفقاً مع البعض الآخر ، والآخر لم يلتزم بكل المقومات الفنية للنقيضة .

ومنها أن الهجوم والدفاع فى هذه النقائض لم يرتبط بعمل فنى محدد عند كلا الشاعرين ، فمن خلال أحاديثهما عن موضوعات مختلفة تلوح عدة أبيات تعكس موقف الشاعر من هذه القضية أو تلك ، ومنها أن غرض المديح هنا يمثل عنصراً ثالثاً يقف على قدم المساواة مع عنصرى الفخر والهجاء اللذين قام عليهما فن النقائض المعروفة فى الأدب العربى .

الفارس والموقعة

تعددت المواقع التى تبارى فيها الشاعران ، واختلفت مواقفهما باختلاف مكونات الشخصية ، وإن اتفقا فى بعض السمات العامة التى ميزت طبيعة نقائضهما عن غيرها .

وربما تبارى الفارسان بسلاح من نوع واحد ، مستهدفين هدفاً واحداً لكنهما اختلفا فى طريقة استخدامه ، ومقدار إصابة الهدف ، فقد التقى الشاعران فى موقف العداء من الأمويين ، واعتبارهم غاصبين ، ومع ذلك فإن الدور الذى لعبهُ ابن المعتز يختلف عن دور تميم ، فابن المعتز يصف الأمويين بالغدر ، ويعد جرائمهم مع العلويين فى نغمة هادئة لا تستشعر فيها مرارة الهزيمة ، أو التأهب للانتقام ، ثم نراه يستثمر هذا الموقف فى الهجوم على العلويين عندما يستحضر فى أذهانهم صورة العداء الحقيقى ، وبعد ذلك يزهو مفتخراً بأخذ الثأر للعلويين أما تميم فيتحدث عن الأمويين حديث الموتور ، ويهجوهم فيقذع فى الهجاء ، وبمقارنة هجائه غيرهم من خصومه لا نجد فى شعره إقذاعاً يشبه الإقذاع فى هجائهم ، فقد تعقب أصولهم ، وشبههم بغير المسلمين (١) ، ولا وجه للمقارنة بين هجوم تميم على الأمويين ، وهجومه على العباسيين . وكأن زوال دولة الأمويين وتعقب العباسيين لهم بالقتل والتشريد لم يرو غلته أو يهدىء من ثائرته .

ولموقف الشاعرين هنا دوافعه النفسية وأسبابه التاريخية ، فالعباسيون غرروا بالعلويين ، وكانت مقاتل الطالبيين على أيديهم من العوامل النفسية التى أزكت وبلورت فكرة التشيع بالصورة التى ظهرت على أيدى الفاطميين .

وتتجلى القدرات الفردية لفارسى هذه الحلبة من السباق – بصورة واضحة – فى عرض وتفنيد الخصومة بين العلويِّين والعباسيين . فابن المعتز مستميت فى الدفاع عن قضيته ، وتبدو هذه الاستماتة فى مظاهر متعددة ، كما تعكس لنا فى الوقت نفسه أبعاداً مختلفة فى شخصيته . ولعل أهم هذه المظاهر هو تعدد جبهات القتال واختلاف الأسلحة فتارة يخوض حرباً مع أعدائهم الأمويين وأخرى مع الثائرين العلويين ، ويستخدم أسلوب الكر والفر ، فيهددهم فى عنف ، ثم يعود إلى نغمة الود والقربى ، ويحشد أكبر قدر من البراهين العقلية والوجدانية ليثبت حقه فى الخلافة ، ثم يلجأ إلى التأثير النفسى والإيحاء لخصومه بالتنازل عن تلك القضية .

---

(١) راجع هذا الكتاب ، ص ١١٥ ، وانظر نماذج أخرى فى ديوان تميم ، ص ٢٠٢ .

ونراه يحاول استغلال فكرة النسب إلى هاشم والرسول صلى الله عليه وسلم لتحقيق تفوق آله على غيرهم ممن يشتركون معهم في هذا النسب . وقد حقق بذلك هدفين ، أحدهما : إفساد استغلال هذه الفكرة على خصومه إذا انتسبوا إليها ، وكأنه يريد أن يقول لهم : نحن شركاء في هذا النسب ، بل ذهب إلى أبعد من ذلك في إبطال نسبتهم فزعم أنهم أدعياء ، وأن أهله بني العباس هم ذوو القرابة الحقيقية . أما الهدف الآخر فهو الربط بين الفخر بالعباس وجذوره . وجذوره هنا ذات شقين : أحدهما تاريخي ، والآخر ديني ، يمثل الشق الأول النسب إلى هاشم بن عبد المطلب ، والآخر النسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فلم يكثر من الفخر بهما مثل إكثاره من الفخر بجده العباس الذى تعقب مآثره وفسر سيرته تفسيراً خاصاً يتفق وغرضه العام من الإشادة به .

ولهذا الموقف دلالته على نفسية الشاعر فابن المعتز يدافع عن ملك يتهاوى ، فالخلافة العباسية – كما مر – كانت تحتضر في أيامه ، والإحساس بالضعف مدعاة إلى التشبث بها كما يتشبث الغريق بأسباب النجاة ، والطفل بلعبته ، والشاعر بأمانيه .

ويذهب أحد الباحثين إلى القول بأن العوامل الذاتية كانت من أهم المؤثرات في أساليب ابن المعتز مع خصومه : فهذا التذبذب بين اللين والعنف يدل على أن تلك الحملات الشعرية التي كان الشاعر يشنها على بني عليٍّ من حين لآخر لم تكن جميعها نتيجة مذهب سياسي واضح الأركان أو عقيدة آمن بها الشاعر كل الإيمان بل إن عليها إلى جانب ذلك شوباً من نزعات وعوامل مختلفة ، لعل أهمها ذلك القلق والاضطراب النفسي وحب التعويض الذي يجعله يتلمس خصوماً يصاولهم ويصاولونه ويساورهم ويساورونه (١) .

ويرى باحث آخر أن العوامل السياسية والاجتماعية كانت وراء هذه الأساليب .

فهو يشتد في الخصومة ثمناً لعفو « المعتضد » عنه ، ولم يكن هذا السبب بمعزل عن دافع ذاتي « فلقد كان – ككل بني العباس – يحرص على أن يظل الملك فيهم بغض النظر عن تسلط الأتراك . . . ولما كان الطالبيون أقوى المنافسين لهم فقد رأى ابن المعتز بتفويض من الإمام أن يناقشهم ويوجعهم (٢) .

---

(١) عبد الله بن المعتز العباسي د . محمد عبد العزيز الكفراوي ، ص ١٢١ .

(٢) ابن المعتز العباسي ، أحمد كمال زكي ، سلسلة اعلام العرب ، ٣٦ ، ص ١٣٢ .

ثم لا يلبث أن يستجيب لمتطلبات الظروف السياسية والاجتماعية فيلين فى الخصومة فقد آلم أسلوب العنف فريقاً من أصحابه ، وعلى رأسهم « المبرد » الذى سأله الرفق بآل على حتى لا يستغل القرامطة موقفه ضده ، كذلك كان من أكثر العاتبين عليه جاره أبو الحسين محمد بن الحسين العلوى (١) .

وقد تتداخل هذه العوامل جميعها ، وتنصهر فى نفس ابن المعتز لتشكل موقفه من تلك المعركة .

أما تميم فهو طرف فى خصومة يدافع عن حقه ، ولكنه يبدو كالذى تنازع عقاراً وأقام فيه ، واستراح إلى ما يشبه قرار الحاكم - فى أيامنا - « يبقى الحال على ماهو عليه ، وعلى المتضرر أن يلجأ إلى القضاء » ومن ثم قابل تميم هجوم العباسيين المتحمس بشىء من الاسترخاء بدا فى أكثر من مظهر وعكس لنا جانباً من شخصيته . والذى يستعرض ديوان ابن المعتز ليحصى عدد القصائد التى هاجم فيها العلويين يجده -على وجه التقريب - ضعف العدد الذى ردَّ فيه تميم ذلك الهجوم ، وليست المسألة قاصرة على الكم فحسب - مع أنه لا ينبغى لنا أن نتشكك فى فقدان شعر تميم بعد أن ناقشنا هذه القضية فى تمهيد هذا الكتاب - فالكيف أيضاً ينطق بذلك الاسترخاء ، فلم يُجَارِ تميمٌ خصمه فى شتى المجالات التى هاجمه فيها ، ولم يتعقبها ولم يفتح جبهات أخرى ، وإنما اكتفى فى غالب أحواله - بالردود العامة كما أشرت إلى ذلك سلفاً (٢) .

ولا نلمس هذا الاضطراب النفسى الذى رأيناه عند ابن المعتز فى موقف تميم من الخصومة . . . لأنه يستمد هدوءه من استقرار أمور أسرته وقوة دولته ، وحسن علاقته بها ، وقد نرى استعراضاً فنياً يعكس لنا جانباً آخر من حياته الفنية ، حينما يحاول أن يرد على ابن المعتز فى نقيضة معينة ، وهذا ما يفسر لنا طول القصائد التى اتجه إليها عمداً كالقصيدة البائية أو الرائية ، وليس وراء الإطالة والتفوق فى الكم موقف هجومىّ أو مناورة كلامية ، وإنما هو استعراض فنى بالدرجة الأولى .

وقد يبدو ذلك تناقضاً واضحاً إذا قابلنا موقف الشاعرين هنا بموقفهما من الاعتناق المذهبى .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٣٣ .

(٢) راجع هذا الكتاب ، ص ١١٥ ، ١١٦ .

فحرص ابن المعتز ودفاعه عن حق العباسيين قد يوحي بقوة اعتناق المذهب السني والذود عن معتقداته ، ولكن طرفا من سيرة الشاعر وحياته وجوانب فنية أخرى في نقائضه تتبنان عن عدم التزامه بالمذهب أو الدفاع عنه .

أما الجانب الفني الذي يوضح تلك العلاقة فهو الفخر بانتمائه إلى الدولة العباسية (١) .

وأما سيرته . . . فقد روى « الصولي » أنه وجد عند ابن المعتز أشعاراً يتكلب فيها على « العباس » وعلى أفاضل ولده وعلى الخلفاء (٢) .

ويعلق على هذا الخبر أحد الدارسين المعاصرين بقوله : (فهو إذن مستهتر لا يعنيه أحد) (٣) .

ولا يختلف تميم مع ابن عمه في ظاهرة التناقض – بمدلول آخر – فقد يوحي استرخاء تميم بعدم التزامه التشيع أو الدفاع عنه وفي مراجعتنا موقفه من الانتماء إلى الدولة الفاطمية وتتبعنا القيم الشيعية المنبثة في نقائضه ما يناقض ذلك فبماذا نفسر هذه الظاهرة ؟ .

إن تحليل هذه القضية يثير قضية أخرى وهي هل انطلق الشاعر من موقف ذاتي محض ، أو التزام عقائدي خالص ؟ . وهل يتأتى الفصل بين الذات والالتزام في الشعر ؟ . وبأي معايير الصدق والأصالة نحكم على الشاعرين هنا ؟ .

في بعض مواقف شعراء العرب القدامى تعصب أو التزام ، وربما كان شعراء الشيعة والمذاهب السياسية بصورة عامة أكثر الشعراء ممارسة لهذه المواقف ولكن واحداً منهم لم يعرف الالتزام بمعناه الإلزامي الذي نادت به بعض المذاهب الأدبية المعاصرة (٤) . وإنما عرفت التزاماً

---

(١) راجع هذا الكتاب ، ص ١٠٥ .

(٢) الأوراق للصولي ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٣) ابن المعتز العباسي ، أحمد زكي . مرجع سابق ، ص ١٣٤ .

(٤) تناول قضية « التزام الشاعر » مذهبان معاصران من مذاهب الأدب هما الواقعية الاشتراكية والوجودية ، وترى الأولى وجوب التزام الشاعر شأنه في ذلك شأن الناثر . فالشاعر لا يصف الناس على مايجب أن يكونوا عليه بل كما هم عليه ، ولهذا لا يجمل الخيال في الشعر إذا كان كذبا متجاوزا نطاق المحسوس والمعقول ، والشكل والمضمون يجب أن ينسجما ليدلا على الجمال ، والجمال منحصر في الحياة والحقيقة . أما الوجوديون =

نابعاً من الذات ، وهذا الالتزام الذاتي هو ما يمكن أن نفسر به موقف الفارسين من المعركة وهو فى الوقت نفسه مقياس الصدق والأصالة :

فالشاعر – كما يقول « ستيفن سندر » – لا يستطيع أن يكتب ما قد يعتقد أنه أسلم شعر يمكن تصوره وأصدقه وأفضله فليس فى مقدور الشاعر إلا كتابة ذلك النوع من الشعر الذى تسمح له بكتابته ميول وجوده الخاص ، أى نوقه فى الحياة مميزاً عن نوقه فى الأخلاق والسياسة والأدب ، لذلك يجب أن تتوفر لدى الشاعر قبل أى اعتبار آخر الشجاعة الكافية للمحافظة على وجوده الذاتى (١) .

وقد توافر لشاعرنا هذا القدر ، ولعل هذا الصدق وتلك الأصالة الفنية يفسران لنا ما قد يبدو من تناقض بين الالتزام المذهبى أو عدمه وموقف كل منهما من قضية الخلافة محك هذه النقائض .

فمن منطلق الخوف على الذات هاجم ابن المعتز خصومه العلويين خوفاً من ضغوط الخلفاء العباسيين ، أو خوفاً من زوال ملك أهله ، أو من استبداد الأتراك أو من الفشل فى تحقيق أمانيه وأطماعه الشخصية ، ومن منطلق الصدق مع ذاته لم يفتخر بالخلفاء العباسيين إلا بالقدر المضطر إليه ، بل عرض بهم أحياناً إيماناً منه بما يستحقونه من التعريض .

ومن منطلق الوفاء راح تميم يردد أسماء خلفائه الفاطميين مفتخراً بهم ، ومن إحساسه بثبات أقدامه على الأرض قابل هجوم أعدائه بثبات واسترخاء ، ومن معين ثقافته الخاصة ردد بعض القيم الشيعية فى شعره .

= فهم يفرقون بين الناثر والشاعر فالشاعر يرى تجربته من خلال استغراقه فى وجدانه ، ويستعمل لغة موسيقية ، ويترك الوجوديون للشعر الوجدانى ميدانه الحر الطليق ولا يقيدونه بالالتزام .

انظر : النقد الأدبى الحديث د . محمد غنيمى هلال . القاهرة ، دار النهضة ١٩٧٩ ، ص ٤٥٦ وما بعدها فلسفة الالتزام فى النقد الأدبى بين النظرية والتطبيق د . رجاء عيد ، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٥ ، ص ١٢١ وما بعدها .

الاتجاه الواقعى فى الشعر العربى الحديث فى مصر ، د . ثابت محمد بدراوى ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ١٣ وما بعدها .

(١) الحياة والشاعر ، ستيفن سبندر – ترجمة د . محمد مصطفى بدوى – الأنجلو ، ص ١٦١ .

التعبير الشعرى

على نغمة الإيقاع الفنى يلتقى الشاعران على الرغم من تباين المذهب العقائدى والدفاع عنه ، فهما إذن يتفقان فى الشكل ويختلفان فى المضمون .

فأين يلتقيان ؟ . وكيف يختلفان مضموناً ويتفقان فى الشكل ؟ .

أشرت فيما سبق إلى ملاحظة القدامى والمحدثين إلى العلاقة الفنية بين الشاعرين وأن تميما كان معجباً بمذهب ابن المعتز فى الشعر إعجاباً دفعه إلى محاكاته بل ربما كان ذلك سبباً من أسباب تلك المباراة . أما اختلاف المذهب العقائدى لدى شاعرين واتفاقهما فى المذهب الفنى فلا غرابة فيه ، ولا يوهم ذلك فصلا بين الشكل والمضمون فى العمل الأدبى ؛ لأن العمل الشعرى يند بطبعه عن مواكبة الالتزام العقائدى ، ولن يجاريه إلا على حساب المتطلبات الفنية . فالمذاهب العقائدية يناسبها أسلوب النثر الذى يستخدم التعبير بالأساليب المباشرة ، ويستند إلى الحجج العقلية ، ويستعين بالمصطلحات وغيرها ، وهذا كله يفسد الشعر .

وقد لاحظ ذلك « جان بول سارتر » فى دعوته إلى الالتزام فى الفن فاستثنى الشعر من الالتزام كما استثنى فنون الرسم والنحت والموسيقى ، لأن صورها الفنية غير صالحة لذلك (١) .

وراح يشن حرباً شعواء على الكتاب الشيوعيين الذين يسخرون الأدب لغايات سياسية محددة يكون فيها الأدب بوقاً – ورأى أن الأدب بذلك يصير وسيلة لا غاية ، ويئد نفسه بنفسه ، ويسماهم « سارتر » ، « كلاب الحراسة »(٢) .

واختلاف الشاعرين فى المضمون واتفاقهما فى الشكل يحدد لنا مجال السباق فى تلك المباراة تحديداً دقيقاً ، ويشكل الصورة العامة لمواقفهما ، والذى يعنينا هنا هو التعرف على مذهبيهما فى الشعر من خلال دراسة مقوماته الفنية ، وتوضيح مظاهر تأثير المذهب العقائدى والموقف الهجومى والدفاعى تجاه تلك المقومات كما انعكس فى نصوص هذه النقائض .

التجربة الشعرية : من خلال منظارنا العصرى لمفهوم التجربة الشعرية نتأملها هنا ،

---

(١) ما الأدب ، جان بول سارتر ، ترجمة . د . محمد غنيمى هلال ، ص ١٤ .

(٢) انظر : ما الأدب ، سارتر ، النقد التطبيقى والمقارن ، د . محمد غنيمى هلال ، ص ٩٨ .

لا لنقيِّمها على أساس ذلك المفهوم ، وإنما لنراها من خلاله ، والتجربة الشعرية كما يراها نقاد العصر الحديث هى الصورة الكاملة لموقف الشاعر من قضية ما ، تنم عن عميق شعوره وإحساسه ، وفيها يرجع الشاعر إلى اقتناع ذاتى ، وإخلاص فنى لا إلى مجرد مهارته فى صياغة القول ليعبث بالحقائق أو يجارى شعور الآخرين لينال رضاهم . . . فهى إفضاء بذات النفس بالحقيقة كما هى فى خواطر الشاعر وتفكيره . ويجب التفريق بين شطرى شخصية الشاعر الشعرى ، والعملى ؛ فالشطر الأول مثالى يحكي فيه ذات نفسه كما هى ويصف مثله وأهدافه وآلامه وآماله . والثاني عملى يتقيد فيه بقيود الحياة كما هى من حوله ، والجانب المثالى أصدق وأقرب إلى الدلالة على روح الشاعر من الجانب العملى . . . والذين هم على علم بالقلب الإنسانى يحكمون بأنه من الطبيعى أن يتغنى المرء بما يريد وبما يعوزه ، وبما تقصر دونه قواه ووسائله » (١) .

وأول ما نلاحظه على التجربة الشعرية هنا أنها متعددة داخل القصيدة الواحدة . وقد جاء هذا التعدد نتيجة منطقية لانعدام الوحدة العضوية فى القصيدة العربية فى عصر الشاعرين .

ويختلف الشاعران بعض الاختلاف فى تلك الظاهرة إذ يبدو تعدد التجربة عند ابن المعتز أوضح ، ولعل هذا الوضوح يفسره لنا موقف الشاعر من الخلافة والخلفاء ، ومن ثم تبدو لنا فوارق جلية بين إحساسنا بعمق الشاعر وصدقه فى تجربته التى يصور فيها ذاته وأحاسيسه فى إطار ظروف مجتمعه سياسياً واجتماعياً ، وبين تجربته التى يصور فيها موقفه من هؤلاء الخلفاء . وفى قصيدته البائية – مثلا (٢) – نرى تجربتين أو قل : قصيدتين ، وإن اتحدتا فى الشكل الموسيقى ، التجربة الأولى ذاتية لها صلة بمأساته ، وقد استغرقت من القصيدة ثلاثة وعشرين بيتاً . والثانية : دفاع عن الخلافة وهجوم على أعدائها وتناولتها بقية أبيات القصيدة .

وإذا تابعنا تجربة الشاعر الأولى : تجلت لنا كل خصائص التجربة الحية النابضة بالصدق والأصالة .

ففى الأبيات من ١ : ٨ يتغزل الشاعر فى نغمة يائسة حزينة ، ويرى محبوبته محجوبة عنه ، ثم هى غافلة عما به ، ولا أمل فيها ولا فائدة من التعلق بها أو الجرى وراء الأمانى الكاذبة .

---

(١) النقد الأدبى الحديث . د . محمد غنيمى ، مرجع سابق ، ص ٢٦٣ وما بعدها .

(٢) طالع هذه القصيدة فى نماذج ابن المعتز الفصل الخامس من هذا الكتاب .

والشاعر فى هذه الأبيات يمتاح من لا شعوره فقد كان مشغولا بقضية الخلافة واستقامة أمورها ، ولكن الدلائل تشير إلى عدم إمكان تحقيق ذلك ، فبين الأمل المنشود والواقع المر يتردد الشاعر فى حلمه الفنى فيشبه أمانيه بتلك المحبوبة الممنوعة وعليها من الحراس ما يرد كل طالب ، وقد برح به الشوق ، واستبد به الهوى فراح يستجدى الإغاثة ويستمطر الرحمات على حاله لعل عينيه تكفان عن سح الدموع ، ولكن عواطفه المشحونة باليأس المرير تجعله يصور الوصول إلى محبوبته محالا ، فيغلق دونها الأبواب . ثم لا يلبث أن يصدمه الواقع ، ويغلب عليه اليأس فيسرى عن همه بالهروب من الموقف ، ويتخذ من إتهامها بعدم المبالاة مبرراً لذلك الهروب .

ويتابع الشاعر الحديث عن تجربته الأولى فى الأبيات ٩ : ١٣ فيبدو فى صورة الناصح الخبير بالحياة ، ونصحه فى الواقع وإن ارتبط بالجزء الثانى من القصيدة ارتباطاً غير مباشر ، لكنه يفصح عن شعور ذاتى فكأنه ينصح نفسه ، وكأنه يستشعر الخطر الذى حاق به ، ويرهص بذلك المصير المؤلم الذى انتهت به حياته ، وهيهات أن يغنى حذر من قدر ، فعلى الرغم من استقراء الشاعر أنباء الغيب ، وعلى الرغم من تسلحه - فيما زعم - بخبرة الحياة ورجاحة العقل ، فقد مضى إلى مصيره المحتوم .

ثم نراه فى الأبيات التالية من ١٥ : ٢٢ يصور مباراة فى سباق بين جواد وناقة وكأنه يحملنا معه فى هذه الأبيات إلى ملعب من ملاعب سباق الخيل ولا شك أن حلمه المنشود فى معركة فاصلة مع المسيطرين على الخلافة أوحى إليه بهذا العنصر من عناصر التجربة ، ولا بأس من تداخل عناصر اللاشعور فى تكوين التجربة ، فقد تكون تلك المباراة انعكاساً للمباريات التى يقيمها من حين لآخر مع الشعراء العلويين أو يعكس فيها الصراع السياسى والحربى الدائر بينهم من خلال هذا التصوير الأدبى (١) .

---

(١) هذا التلاحم بين عناصر التجربة ، وصدقها وأصالتها هو جوهر الأدب فى مفهوم النقد الحديث : « فجوهر الأدب هو تصوير الواقع على حسب إحساس الكاتب به بغية التغلب على ما فيه من عوائق . فالموضوع الكبير للأدب هو (استيلاب) الانسان فى الكون . وهذا الاستيلاب الذى لا يخلو من تصويره عمل أدبى يجعل المرء فى صراع مع الطبيعة أو مع المجتمع ، وما يسوده من تقاليد ونظم . وقد يبدو تصوير هذا الاستيلاب ذاتيا محضا فى تصوير الحب المعوق مثلا ، ولكن إذا تعمق الكاتب فى تصويره للحب نفسه فإنه سينفذ فى صميم بنية المجتمع » . انظر النقد التطبيقى والمقارن ، د . محمد غنيمى هلال ، ص ١٠٢ .

فإذا ما انتقلنا إلى التجربة الثانية فى القصيدة ذاتها وجدنا أنفسنا أمام تجربة أخرى اضطر فيها الشاعر إلى مديح الخلفاء العباسيين على الرغم من سوء علاقته بهم ، واضطر إلى التجنى على التاريخ والكذب فيه حينما وصف موقف الإمام على بالتداعى يوم حنين ، وذلك ما يشير إليه البيت رقم ٢٣ من قصيدته البائية (١) . ولا يكاد يندٌّ عن ظاهرة تزاوج التجربتين فى القصيدة الواحدة عمل من نقائض ابن المعتز .

أما تميم فلا نرى عنده تلك الثنائية واضحة فى نقائضه مثل وضوحها عند ابن المعتز كما يتضح من مقارنة بائية كل منهما بالأخرى حيث تنصب بائية تميم على مناقضة التجربة الثانية فى بائية ابن المعتز . ولا نرى علاقة واضحة بين التجربة الأولى فى بائية ابن المعتز ومقدمة بائية تميم ، التى بدأها بوصف الطبيعة ، والدعوة إلى الشراب فى رحابها ، ثم انتقل إلى وصف سقاة الخمر على طريقة الشعراء المصريين فى عصره .

وقد استغرقت هذه المقدمة ثمانية عشر بيتاً انتقل بعدها إلى الغرض الأساسى فى نقيضته . ومقدمة تميم – وإن استغرقت هذا القدر من الأبيات – فإنها لا تعبر عن تجربة مستقلة به هى مقدمة منفصلة عن الموضوع جرياً على نظام القصيدة العربية فى ذلك العصر .

ولا نلمح هنا الصلة بين التجربة موضوع القصيدة ومقدمتها التقليدية مثل ما نلمحها بين التجربتين الأولى والثانية فى نقيضة ابن المعتز فعلى الرغم من إدراكنا الحد الفاصل بين التجربتين موقفاً وأداء نلمس فيها يد الفنان الواحد وإن اختلف موقفه وأداؤه فى التجربتين .

البناء الفنى :

كان عصر نقائض الشاعرين قريب الشبه بعصرنا هذا فى تجاور نمطين مختلفين من أنماط البناء الفنى للقصيدة العربية . فكما شهد عصرنا ثورة على نمط القصيدة التقليدية أدى إلى تقسيم الشعراء إلى فئات ثلاث . شهد عصر الشاعرين مثل ذلك وأدى إلى النتائج ذاتها .

أما الفئات الثلاث من الشعراء فهم : شعراء يتشبثون بالقديم وآخرون ثائرون مجددون ، وفريق ثالث يتردد بين الفريقين فبعض إنتاجه يجنح إلى التجديد والآخر يميل إلى التقليد .

---

(١) يكذب هذا الادعاء ما رواه ابن هشام فى القسم الثانى من السيرة النبوية ص ٤٤٣ ، وما رواه الطبرى فى تاريخه جـ ٣ ص ٧٤ .

وهذه التفرقة ليست حاسمة لدى الشعراء ، بل هي مسألة نسبية يستوى فى ذلك القدامى والمعاصرون ، فقلما نجد شاعراً معاصراً يملك زمام الشعر المرسل إلا وله صولة أو صولات فى ميدان الشعر العمودى ، وبعض الملتزمين بالنمط التقليدى تجذبهم عصا السحر المغرية بالتجديد . وكان هذا شأن الشعراء فى العصر العباسى كدعاة التجديد فيه من أمثال بشار وأبى نواس وأضرابهما لم يسلم إنتاجهم من النمط القديم ولم يستطيعوا التخلص تماماً من عمود الشعر فى بناء القصيدة على الرغم من مهاجمتهم إياه .

وهذا ما نراه واضحاً عند ابن المعتز وتميم على تفاوت بينهما فى التقليد والتجديد .

فابن المعتز يرثى أطلال هند فى مطلع قصيدته الرائية * :

أىَّ رســـمٍ لآلِ هِنـْدٍ ودَارِ　　　دَرَسَـا غيـرَ ملعبٍ ومَنَـارِ (١)

ويحدثنا عن الأثافى والعراص والمغانى الدارسة وسحق الرياح لها ، تماماً كما نرى فى القصائد الجاهلية . غاية الأمر أن شاعرنا هنا يستبدل بالنوق الخيل (٢) ولايطيل فى الوصف فالخيل سريعة العدو ، وهو لا يمتطيها قاصداً الممدوح وإنما يصف نفسه بالفروسية لينتقل إلى الغرض من النقيضة .

ويجاريه فى ذلك تميم فى مطلع قصيدته الرائية :

جَادكَ الغيثُ من مَحِلّةِ دارِ　　　وثوى منكَ كلُّ غادٍ وَسَارِ (٣)

ويخاطب الأطلال ويرثى حالها ، ثم يبارى خصمه بناقة سريعة قوية لا تبارى .

ولا يلتزم الشاعران هذا النمط فى بناء نقائضهما . فنرى ابن المعتز يبدأ نقيضته البائية :

ألاَ مَـنْ لعيْـنٍ وتسْكَابِها　　　تَشَـكَّى القـذَى وبكاهَابِهاَ

بمقدمة غزلية طويلة ثم يمتطى جواده فى مباراة ساخنة ، لينتقل بعد ذلك إلى الغرض الأصلى من نقيضته .

---

* ديوانه ط بيروت ١٧٤ .

(١) راجع الأبيات الأولى من هذه القصيدة فى الفصل الخامس .

(٢) ولقد اهتدى على طرف الليــ　　　ـل بذى ميعة كميت مطار .

(٣) راجع هذه القصيدة فى الفصل الخامس من هذا الكتاب .

وكما خرج ابن المعتز عن قيود عمود الشعر فى بعض نقائضه خرج تميم أيضاً ففى القصيدة البائية :

(إذا فَزِعَ الشوقُ حَبُّ القُلوبِ)   كَواهــــا بشـــــدَّةِ تَلْهابِهــــا

يصف الطبيعة ويدعو إلى الشراب ويصف سقاتها من الغيد الحسان .

وهذا التزاوج بين القديم والجديد فى بناء نقائض الشاعرين صورة مصغرة من شعرهما ، وانعكاس صادق لعصرهما ، وحقيقة مجسدة لطبيعة الصراع بين القديم والجديد فى كل بيئة وعصر ، فالشعراء تستهويهم فتنة التجديد ، وجاذبية التراث ، ولكل سحره وسلطانه .

١ – ويتفق الشاعران فى سمة أخرى تميز البناء الفنى لنقائضهما وتتجلى فى العلاقة بين أجزاء القصيدة ، فهى وإن اتسمت بالمطلع الجديد لكنها لم تعرف الوحدة التامة ، وإنما عرفت « التحام أجزاء النظم » وهو الانتقال من جزء إلى آخر داخل القصيدة على نحو جيد ، وذلك ماسماه نقاد عصرهم بـ« حسن التخلص » .

وعلى الرغم من تعدد أجزاء النقيضة تبعاً للأفكار التى تناولتها فإننا نلاحظ ظاهرة يشترك فيها الشاعران وهى أن هناك فرقاً واضحاً بين التمهيد والموضوع من حيث الأداء الفنى وجمال التصوير والصياغة اللغوية .

ويتفق الشاعران أيضاً في الاهتمام بعنصر الفخر بالفروسية فى بناء النقيضة وللاحتفاء بهذا العنصر علاقة وثيقة بالنقائض، لا سيما إذا أخذنا فى الاعتبار أنه لم يعهد عن الشاعرين تلك الفروسية المدعاة ، بل على العكس من ذلك فسيرة تميم حافلة بالمتع والملذات والحياة الرغيدة . وقد اشترط ابن المعتز لمشاركته فى الثورة وقبوله الخلافة ألا تراق دماء ، . . . فلا معنى لهذه الفروسية إلا من جانب دلالتها النفسية على روح النقائض ، فالشاعر وهو يفتخر لا يناجى نفسه بهذا الفخر ، وإنما يرسل مفاخره حجارة على أعدائه ومنافسيه ، فهو فى حرب باردة ، لم تكن بمعزل عن الحرب الساخنة ، فالصراع الدموى كان متجدداً حول الخلافة وهذا التطابق الوجدانى بين المعارك الحربية والكلامية كان بين الأثر فى مقدمات نقائض الشاعرين ، والذى يتتبع القصائد التى تناول فيها أحد الشاعرين قضية الخلافة يراها تبدأ بأحاديث الفروسية والشجاعة ، وربما طال الحديث الذاتى فى بعضها وزاد على القضية الأصلية ، وتفسير ذلك أن هذا الموقف الذاتى أشبه بالتدريب الذى يسبق المباريات الرياضية مباشرة لتحريك الجسم واستكمال نشاطه قبل بدء المباراة .

٢ – وفى المطالع التى جدد فيها الشاعران نلاحظ اختلافاً متعدد الوجوه ، فعنصر الغزل في المطلعين مختلف تماماً ، فالغزل فى مطلع نقيضة ابن المعتز يطغى عليها ، ويقابله بيتان فقط فى نقيضة تميم .

وغزل ابن المعتز حزين مشوب باليأس توحى به كلمات (التشكى وتسكاب الدموع ، والتمنى ، وسوء الدهر ، والتخلى عن المنى (١)) ، وغزل تميم فيه تلذذ واستمتاع توحى به كلمات (الضحى ، والدلال ، والسحر والعتاب) ، وغزلهما يحكى حالتهما الشعورية بصدق ، وهى حالات تشابكت فيها عناصر الظروف الخاصة والبيئة الاجتماعية تشابكاً تاماً .

ومظاهر التجديد فى مطالع النقائض مختلفة أيضاً فابن المعتز يجنح إلى الغزل وتميم يميل إلى وصف الطبيعة ، وابن المعتز فى غزله يناجى نفسه ، ويشرح مأساته ، وتميم يعكس تأثير البيئة المصرية الغنية بمظاهر الحياة الطبيعية لا سيما ما كان مصدرها النيل من المياه والحدائق والزهور ، ثم يعكس لنا سمة التجديد فى وصف الطبيعة بوصفها أثراً من آثار الشخصية المصرية فى فن الوصف فى الشعر العربى (٢) فنراه يتحدث عن النواعير فى مطلع إحدى قصائده .

وقد أكثر تميم وأطال حديثه عن الخمر حديثاً متنوعاً فى مقدمات نقائضه بصورة تسترعى انتباه الدارس .

٣ – الصورة الشعرية :

الصورة فى الشعر هى القالب المجسد للحقيقة النفسية والفكرية ، وهى وليدة الخيال والأثر المحسوس له ، وهذه الصلة الوثيقة بين الخيال والصورة فى العمل الأدبى ثمرة من ثمرات التطور فى النقد الحديث .

ومعنى هذا أن عصر ابن المعتز وتميم لم يربط نقاده وأدباؤه بين الصورة والخيال ، بل رأوا أن لكليهما مفهوما يختلف عن الآخر ، ومن ثم لم يبحثوا عن الخيال فى الصورة ، ودرسوا الصورة من جانب المجاز البلاغى : التشبيه والاستعارة ، والكناية (٣) .

---

(١) ونرى هذه الظاهرة واضحة فى بقية مطالع ابن المعتز . راجع النماذج فى الفصل الخامس من هذا الكتاب .

(٢) تناول المؤلف هذه الظاهرة بالتفصيل فى كتابه : الشخصية المصرية فى الأدبين الفاطمى والأيوبى ، القاهرة ، تاريخه جـ ٣ ص ٧٤ .

دار المعارف ، ١٩٧٩ ، ص ١٣٣ وما بعدها .

(٣) النقد العربى الحديث ، د . محمد غنيمى هلال ، ص ١٥٦ .

وإذا كان نقاد العرب فى ذلك العصر متأثرين بنظرية المحاكاة اليونانية وهى عندهم تعنى المجاز ، فإن الشعراء بوحى ملكاتهم الفطرية ، وحواسهم الفنية أدركوا أن الصورة الشعرية لا تقف عند هذا المدلول الضيق لمفهوم الصورة ، وراحوا يبدعون صورا تجاوزت حدود الصورة البلاغية من تشبيه واستعارة .

ولم يتحدث النقاد القدامى عن الصورة الكلية والجزئية ، وإنما تحدثوا عن الصورة المركبة والمفردة ، ومع ذلك فإننا نرى فى نقائض ابن المعتز وتميم نماذج من الصور الكلية والجزئية .

ويمكننا أن نفرق – من حيث التصوير – بين جزئين بينين فى نقائض الشاعرين هما المطلع والموضوع . ففى مطالع النقائض نلاحظ جودة الصنعة الشعرية ممثلة فى قوة الأداء التصويرى بكل أبعاده وأحداثه التى أشار إليها ريتشاردز (١) .

وإذا تجاوزنا المطالع إلى صلب النقيضة ، وجدنا أنفسنا أمام أسلوب شعرى تتبعثر فيه الصور ، وتضعف دلالتها وتفتر حرارة كلماتها ، وعلينا أن نقارن إحدى الصورتين الكليتين فى الجزء الأول من بائية ابن المعتز بباقى الصور فى الجزء الثانى من تلك القصيدة فسنجد أن صورة المحبوبة الممنوعة صورة متكاملة تعاونت فى رسمها عدة صور جزئية ، وكذلك صورة المباراة بين الفرس والجواد ، صورة كلية تعاونت فى إخراجها صور جزئية ؛ وكلتاهما وثيقة الصلة بالحالة الشعورية والنفسية .

أما الصور فى الجزء الثانى من القصيدة فهى مبعثرة بين التعابير المباشرة ، والتصويرية ، ومنطفئة الإيحاء ، من ذلك مثلا قوله :

وكم عصبةٍ قد سَقَتْ منكُم الـ ـخلافــَةَ صـــابـاً بأكْوابْهــا

وقوله :

وقد ركبوا بغْيهَمْ وارتقَـوْا بـــزلاءَ تـــرْدِى بركاَبِهـــا

---

(١) وهى التى حددها فى الإحساس البصرى الناشىء عن رؤية الكلمات والصور المرابطة والمرتبطة ارتباطا وثيقا بهذا الإحساس ، والصورة المتحررة . والكنايات أو الإشارات إلى الأشياء متنوعة ، أو التفكير فيها والانفعالات والاتجاهات .

راجع النقد النفسى عن ا . ا . ريتشاردز للدكتور اسكندر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ص ٣٢ وما بعدها .

وقوله :

كقطب الرحى وافقت أختَها دَعَوْنا بها ، وغَلَبْنَا بِهَا

فأية إضافة فنية تقدمها لنا تلك الصور السابقة ؟؟ .

وهذه الظاهرة الفنية تبدو أيضاً في شعر تميم عندما نقارن الصور الكلية في مطلع نقيضته الرائية ببقية الصور في الجزء الثاني منها ، إذْ يرسم صورة كلية لناقته التي أعدها لدخول حلبة السباق من عدة صور جزئية ، ولا نكاد نعثر في بقية النص على شيء ذي قيمة اللهم بعض الأساليب المجازية التي فقدت إيحاءها لوضوح دلالتها مثل قوله :

واسألوا يومَ خيبرٍ واسألوا مكَّـ ـة عن كـرِّه على الفُجَّار (١)

فبماذا نبرر تلك الظاهرة في نقائض الشاعرين ؟؟

لعل الازدواج الذي أشرت إليه في حديثي عن التجربة الشعرية يلقي لنا ضوءاً على ظاهرة التصوير ، فاستغراق الشاعر في تجربته الأولى من القصيدة ، أو في تلك المقدمة الطويلة من نقيضته قد استنفد طاقته الشعرية من جهة ، واستقطب قوة وحماسة الاندفاع الأول من جهة أخرى ، حتى إذا وصل إلى غايته من النص فترت حميته ، وضعفت عزيمته ، بعد أن تطهرت نفسه من كبت عواطفه المشبوبة التي أفرغها في الجزء الأول ولم يعد أمامه إلا أن يناقش مناقشة فكرية لا تعتمد كثيراً على أساليب التصوير الشعري .

ولا شك أن طبيعة الموضوع هنا تلعب دورها المهم في طريقة التصوير .

وتتكون صور نقائض ابن المعتز من جلبة المعارك وصيحات المباراة ، ونشعر من خلال التأمل في مواد الصورة – حساً وخيالاً – أن صاحبها يشارك في معركة ، أو يتهيأ لها .

من ذلك قوله وهو يصور كرمه بكثرة الطعام وقرى الضيف :

وقدور كأنهن قرومٌ هدرَتْ بين جلبةٍ وبكارِ

فوق نارٍ شبْعَى من الحطَب الجزْ لِ ، إذا ما التَظَتْ رَمَتْ بالشرارِ *

فالهدير والجلبة يبدوان في القدور وشبع النار المتلظية بالحطب الجزل والشرار .

وقد يختار من الطبيعة لبنات بنائه الفنية في الصورة ، ولكنها أيضاً تلك الطبيعة الصاخبة صخب الشاعر :

(١) وترى هذه الظاهرة واضحة في بقية نقائض تميم ، انظر النماذج في الفصل الخامس من هذا الكتاب .

* ديوان عبد الله بن المعتز ١٧٥ – ط بيروت

وسـيوفٍ كأنها حـينَ هـزُّتْ   وَرقٌ هزُّهـا سـقُوط القَطَـارِ

ومن مصادرالقوة فى الطبيعة وحيواناتها يستمد ابن المعتز مواد صوره فيذكر الأسد فى عديد من صوره .

وإياكـمُ إياكـمُ وحـذَارِ مـن   ضراغمةٍ فى الغَابِ حمرِ المخالبِ

ويقول :

إن فيهـا أسـداً ضراغـمَ أشـبْا   لَ رعيـلٍ لـم ينـجُ منهـا كليـمُ

ويقول :

دعوا الأسـد تفـرسُ ثـم اشبْعَوْ   بمـا تـدعُ الأسـدُ فـى غَابهـا

وتزخر صور ابن المعتز فى نقائضه أيضاً بالحركة العنيفة :

جَلَّ مـا بى وقـلَّ صبْرى ففـى قلْـ   ـبى جراح وحشوُ جفنى السُّهدُ

سـهرُ يفتـقُ الجفـونَ ونيـرا   نٌ تلظّـى ، قلْبـى لهـنَّ وقـود

وترى الحركة العنيفة فى تصوير أكثر المواقف مدعاة إلى الهدوء والرقة فهو يشرب الخمر ويغازل ساقيه بهذه الصورة العنيفة :

ربمـا طـافَ بالمـدَامِ علينـا   عسـكرىٌ كغُصـنِ بـانٍ يمَيـدُ

أكـرعُ الكرعـةَ الرويَّةَ فـى الكـأ   سِ وطـرْفـى بطرفـهِ معقـودُ

فصورة العسكرى وغصن البان المضطرب وكرعة الكأس وتشبث النظر بالنظر فيها عنف وقلق وثورة واضطراب ، وهذه الصور بدلالاتها المختلفة وتركيبها الفنى تعكس لنا ماسبق الحديث عنه من موقف الشاعر وظروفه التى قدمتها لنا مجموعة نقائضه فى تلك الدراسة .

ويشاركه تميم فى الصخب التصويرى فهو يصف الساقية بقوله :

جـرى دمعُـها جـْرىَ دمـعِ المحـ   ـبُّ وناحـتْ بصـوتٍ نواعيـرِها

وتميم أكثر استخداماً لمواد البيئة الطبيعية فى تكوين صوره ولكنها صاخبة أيضاً :

ومُنْبَجِـس القطـر مُثْعَنْجَـرٍ   جَهيـرِ الرَّواعَـدِ صَخَّـابِها

وتشترك الأسلحة فى تصوير الطبيعة فى نقائض تميم :

كـأن البـروق سُـيوفُ الغَمـا   م إذا هزَّهـا ثـم رامـَى بِهـا

ويبدو العنف واضحاً فى صوره أيضاً :

أرقتُ لبرقٍ أضاءَ الدّجونَ ... وأذهبَ حلكةَ أطنابِها
سرى والدُّجنةُ منشورةٌ ... فمزّقَ أعلامَ أثوابِها

ولعل الألوان الناصعة تكثر فى صور تميم بوضوح وتبدو هذه الألوان فى العديد من صوره الزاهية . فعندما يصوّر أثرَ الشمسِ فى الضحى يصبغه باللون الأصفر الذهبّى الفاقع الصفرة :

تعيد أديم الضُحى مُذْهَباً ... إذا لاحَ فوقَ نَنَانِيرها

وعندما يصور جمال ساقية الخمر يصفها بالبياض الناصع :

تطوف علينا بها غادةٌ ... كأنَّ الضُّحى بَيْنَ أثوابِها

اللغـــة :

فسرت إحدى المدارس نشأة اللغة تفسيراً ميكانيكياً فربطت بين الألفاظ ودلالاتها الصوتية ، واتخذ « شارل بودلر » والرمزيون من الإيقاع الموسيقى فى الشعر أكبر عوامل إيقاظ الرؤى الراعشة ، وانبعاث الظلال العاطفية فى المتلقين ولا يزال التحليل اللغوى بمدلوله الواسع ميداناً خصباً ومغرياً لدارسى الأدب المعاصرين . ولا ريب أن المنهج اللغوى فى تحليل الأدب منهج متكامل يبدع فيه المقتدرون ذوو الحس اللغوى والذوق الجمالى الرفيع ، ولكنه قد لا يفى بكل متطلبات الدراسة الأدبية . والأدب تعبير جميل وفى الوقت نفسه صورة للحياة ، ومن ثم فلابد أن تختلف وسائل التعبير فيه باختلاف مظاهر الحياة ذاتها . وقد استعنت فى ثنايا هذه الدراسة بالمدلول اللغوى فى تفسير بعض الصور الشعرية والكشف عن ما تحمله من إيحاءات نفسية واجتماعية ، وسأعرض لدراسة خصائص لغة هذه النقائض وعلاقتها بهذا الفن :

تميزت لغة المقدمات عن لغة عرض القضية ، ففى الجانب الأول لغة شعرية وفى الثانى لغة تصلح للنظم أو النثر ، ويشترك فى تلك الظاهرة الشاعران فلا مجال إذن للحديث عن الإبداع اللغوى إلا فى الجانب الأول من قصائدهما ، وقد تتبع بعض الدارسين المعاصرين جهود المهتمين بدراسة لغة ابن المعتز ولخصها بقوله : « إن ابن المعتز الذى جاء بعد أن ثبت نهائياً هيكل الشعر العربى كان أكثر من محسن ، غير أنه على ما يقول الدكتور شوقى ضيف كان أميراً مترفاً ، ولم يتح له أن يتعمق الثقافة والفلسفة كما تعمقها أبو تمام وهو كذلك لم يتعمق وسائل التصنيع الحديثة أى الجناس والطباق وغيرهما .

ويقول الدكتور محمد نجيب البيهقى : إنه لا يسير فى الحقيقة على النمط التقليدى مع مرونة

فى اختيار موضوع الافتتاحية ، ولكنه لا يلبث أن يتعدى الاستهلال إلى الحديث عن السماء ونجومها والسحب ورعودها والبساتين والزهور والرياحين وأزهارها وشذاها ، ومن هنا تضاف الخطوط الذهبية التى تزين هيكل الشعر العربى العظيم .

واعتبره الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى أحد الشعراء الخالدين وتحدث عن ضروب الجزالة والرقة فى أسلوبه ، واهتم الدكتور محمد عبد العزيز الكفراوى بدراسة التشبيه فى شعره وانتهى إلى أنه يؤثر الصنعة ويتحمس للمحدثين .

وعلى الرغم من أن تميم بن المعتز لم ينل حظ ابن عمه فى اهتمام الدارسين فإن معظمهم ربط بين أسلوبه الشعرى ومحاولة تقليد ابن المعتز : والحق أن ثمة فارقاً جوهرياً بينهما على الرغم من صحة محاولة التقليد وصدقها ، فابن المعتز ربيب المدرسة العراقية فى عصره ، وهى بيئة شاعت فيها علوم الفلسفة ، وهضمت تلك العلوم ، أما تميم فهو ابن البيئة المصرية ، وإمام مدرسة الرقة التى تبلورت خصائصها الفنية فيما بعد على يد البهاء زهير وغيره وأصبحت لها سمات لغوية خاصة (١) .

وإذا كان أسلوب ابن المعتز يعكس ذاته بشتى أبعادها فإن أسلوب تميم يلون معانيه بأجمل الألوان ، يقول ابن المعتز :

ولم أنسَ وقدْ زمت ... لوشْك البينِ أظعانُ
وقدْ أنهبَني فاهُ ... وولىَّ وهْوَ عجْلانُ
وقلْ فى مكْرعٍ عذبٍ ... وقدْ وافاهُ عطْشانُ
وضَمٌّ لمْ تحسنْهُ ... له فى الريحِ أغْصانُ
كما ضمَّ غريقٌ سا ... بحاً ، والماءُ طوفانُ

تلك خلاصة حياة الشاعر ، وموقفه من أمانيه تلوح فى صفة المحبوب العجلان ، والمحب الظمآن ، والغريق المتشبث بالسابح ، والشاعر فى حياته غارق فى الطوفان .

بهذا السمو فى التصوير الفنى يكشف وعى الفنان عن الفرق بين الواقع المتحكم وحرص المرء على تحقيق ذاته من خلال هذا الوعى (٢) .

(١) راجع خصائص هذه المدرسة فى كتاب الشخصية المصرية فى الأدبين الفاطمى والأيوبى للمؤلف . ص ٢٧٠ وما بعدها .

(٢) فى النقد التطبيقى والمقارن د . محمد غنيمى هلال ، ص ١٠ .

ومن أبيات تميم نطالع صورة الخمر وساقيها (١) لنرى الكلمات مصبوغة بألوان السلاسة والسلامة والطواعية ، والإيحاء والموسيقية .

فإذا ما انتقلنا إلى الجانب الثانى من النقائض وجدنا لغة مختلفة عن لغة المقدمات تميزت بسمات أهمها :

١ – التعبير بالإشارات التاريخية واستخدام المصطلحات الشيعية فابن المعتز يشير إلى ما رواه بعض المؤرخين حول استسقاء عمر بن الخطاب بالعباس فى عام الرمادة بقوله :

به غَسَلَ اللهُ مَحْلَ الحجازِ وأبـرأها بعـدَ أَوْصَـابِها

وتميم يستخدم العديد من المصطلحات الشيعية مثل : الوصاية لعلى والعلم بالباطن وغيرها مما سبق عرضه فى الفصل الثالث من هذا الكتاب . واستخدام الإشارات والمصطلحات هنا يختلف عن التعبير بالتراث أو استخدام الأسطورة بدلالاتها الرمزية كاملة ، وحشو الأبيات بلغة المصطلحات أو التضمين الأجوف يفسد لغة الشعر ، وقد يؤدى إلى غموض معناه ، وهذا ما وقع فيه ابن المعتز .

٢ – شيوع لغة المحاجة والمناقشة المنطقية من خلال أساليب النداء والاستفهام متنوع الأدوات ومختلف الأغراض .

٣ – التعبير المباشر ، لا سيما فى مواقف الغضب والتهديد .

٤ – الاستعانة بالتكرار والتوكيد والتعليل والمبالغة ، وهى سمات الأسلوب الخطابى ، والشاعر يهتم بالإثارة أكثر من اهتمامه بصواب الفكر وبالرؤية أكثر من الحجة وبالإقناع العاطفى أكثر من الإقناع المنطقى (٢) .

فهل كان الشاعران مضطرين إلى هذا الأسلوب بحكم تناولهما قضية « الخلافة » محك هذه النقائض ؟؟ . إن طريقة التناول هى الحد الفاصل بين الأسلوب الشعرى أو النثرى وليست القضية المطروحة ، فليس للشعر موضوع ، وإنما للشعر « مضمون » هو موقف الشاعر ووسائل التعبير عنه . فبماذا نفسر هذه الظاهرة اللغوية عند الشاعرين ؟؟؟

لاشك أن بيئة ابن المعتز لها تأثيرها ، وقد شاعت فيها علوم الفلسفة والجدل والمنطق ، وكانت قضية الخلافة مثارة على ألسنة هؤلاء وغيرهم . وقد يكون استغراق ابن المعتز فى مأساته

(١) راجع الأبيات من ١٠ إلى ١٦ فى النموذج الثانى ص ١٦٣ من هذا الكتاب .

(٢) فى النقد التطبيقى والمقارن د . محمد غنيمى هلال ، ص ١٠١ .

ومحاولة الإفصاح عنها والمطالبة بحقه فيها مدعاة إلى الأسلوب المباشر ، فقد لا يفى الإيحاء أو الرمز بمطالب الشاعر الطامح إلى تحقيق أغراضه . والشاعر كالفيلسوف يحتاج إلى الابتعاد قليلا عن مأساته حتى يستطيع التعبير عنها ، ويبدو أن مأساة ابن المعتز كانت بُحَيْرَةً بعيدة الشطآن عميقة الغور لم يستطع أن يفلت منها كثيراً فظل يضرب فى متاهاتها طالباً النجاة .

أما تميم فكانت فكرة المباريات الفنية همه الشاغل ، وهدفاً من أهداف دخول تلك المعركة ، فكان لابد أن يجارى خصمه فى كل دروب المتاهات .

الفصل الخامس

نماذج من نقائض الشاعرين

نمــاذج مــن نقائــض ابــن المعتــز :

١ - ألســـنة كالســـيوف .

٢ - طـــار نومـــى .

٣ - غصـــون فـــى أقمـــار .

نمـــاذج مـــن نقائـــض تميـــم :

١ - إذا فرع الشوق حب القلـوب .

٢ - وســاقية ترتمــى بالحبــاب .

٣ - أى ربـــع لآل هنـــد ودار .

نماذج من نقائض عبد الله بن المعتز

- ١ -

ألسنة كالسيوف

١ ألاَ مَــن لعـين وتسكابها ... تشكَّى القذى ، وبكاها بها
٢ تَمَنَّتْ شُرَيرَ على نأيها ... وقد ساءها الدهرُ حتَّى بَها
٣ وأمستْ ببغدادَ محجوبة ... بردٌ الأسودِ لطلاَّبها
٤ ترامت بنا حادثاتُ الزمان ... ترامي القِسيِّ بِنُشَّابِها
٥ وظلت بغيرِكَ مشغولةً ... فهيهات ما بكَ مِماَّ بِها
٦ فما مُغزِلٍ بأقاصِي البلادِ ... تَفزَّعُ من خوف كُلاَّبِها
٧ وقد أشبهت في ظِلال الكنا ... سِ حُوريةً وَسْطَ محرابِها
٨ بأبعدَ منها ، فخلِّ المنى ... وقطِّعْ علائقَ أسبْابِها
٩ ويارُبَّ ألسنةٍ كالسيوفِ ... تُقَطِّعُ أعناقَ أصحْابِها
١٠ وكم دُهِيَ المرءُ من نفسهِ ... فلا تأكُلَنَّ بأنيابِها
١١ فإنْ فرصةً أمكنتْ في العدوِّ ، فلا تُبدِ فعلَكَ إلاَّ بها
١٢ فإن لم تَلِجْ بابهاَ مسرعاً ... أتاكَ عدوُّكَ من بابِها

---

٢ – شرير : اسم امرأة ، بها : من بهاء بالحسن أي غلبه .

٦ – مغزل : أم الغزال ، كلابها : مربي الكلاب أو قائدها .

٧ – الكناس : مأوى الغزال .

١٣ وما ينتقصْ من شبابِ الرجالِ يــزدْ فــى نُهاهــا وألبْابِهــا
١٤ وقد أرْحِلُ العيس فـى مَهمـهٍ تَغُــصُ الرحــالُ بأصْلابِهــا
١٥ كما قـد غـدوتُ علـى سـابحٍ جــوادِ المحثــةِ وثاَّبِهــا
١٦ تباريــه جــرْداءُ خيفانــةٌ إذا كــاد يَســبِقُ كِدنــا بهــا
١٧ كــأن عِذاريهمــا واحــدٌ لجوجانِ تشـَقى ويشـقى بهـا
١٨ كحـدّيْن مــن جلـم مُعْلـمٍ فــلا تلــك كَلَّــتْ ، وَلاَذ بِهــا
١٩ وطارا معـا فـى عنان السَّواء كأنَّــا بــه ، وكأنــاً بهــا
٢٠ تخالهمـا ، بعـدَ مـا قـد تـرى نَجِــيُّ أحاديــثَ هَمَّــا بهــا
٢١ فـرْدَاً عـلى الشكِّ لـم يُسْـبَقا علــى دأْبــهِ وعلــى دأبِهــا
٢٢ وقـال أنــاسٌ : فهـلاَّ بــه ؟ وقــال أنــاس : فهلاّ بهــا ؟
٢٣ نصحتُ بنى رحمِـى ، لو وَعَـواْ نصيحــةَ بــرٍّ بأنســابها
٢٤ وقد ركبـوا بَغيَهـم ، وارتقـوا بــزلاءَ تــرْدِى بركابِهــا
٢٥ ورامـوا فرائـسَ أسـدِ الشـرى وقــد نَشــبِتْ بــينَ أنيابِهــا
٢٦ دعُوا الأسدَ تفرِسُ .ثـم اشـبَعواْ بمــا تــدعُ الأســدُ فــى غابِهــا

---

١٤ – العيس : النوق ، مهمه : فلاة ، أصلابها : جمع صلب ، وهو أسفل الظهر .
١٥ – جواد المحثة : إذا حث جاد بجرى بعد جرى .
١٦ – جرداء : ناقة قصيرة الشعر ، خيفانة : سريعة ، كدنابها : كدنا نسبق بها .
١٧ – عذاريها : العذار هو الشعر النازل على اللحيين .
١٨ – جلم : مقص .
٢٤ – بزلاء : الزلاء هى التى تزل بها القدم .

٢٧ قتلنـا أميـةَ فـي دارهـا ... ونحـن أحـقُّ بأسـلابِها

٢٨ وكمْ عصبةٍ قد سقتْ منكم الـ ... ـخلافـةَ صَابـاً بأكوابِهـا

٢٩ إذا مـا دَنَوتـمْ تلقتكـمُ ... زَبونـاً ، وقـرَّتْ بِحُـلاَّبِهـا

٣٠ ولمـا أبـى اللـه أن تملكـوا ، ... نهضـنا إليـها ، وقُمْنـا بِهـا

٣١ ومـا ردَّ حجابُهـا وافـداً ... لنـا ، إذْ وقفْنـا بأبوابِهـا

٣٢ كقطبِ الرحـى وافقـت أختَهَا ... دَعَوْنـا بهـا ، وغلبْنـا بِهـا

٣٣ ونحـن ورثنـا ثيـابَ النبـيِّ ... فلِـمْ تَجـذِبُون بأهْدابِهـا

٣٤ لكـم رحـمٌ يابنـي بنتـهِ ... ولكـن بنـو العـم أولـى بهـا

٣٥ به غسَلَ اللـهُ مَحْـلَ الحجاز ... وأبـرأها بعـدَ أوْصـابِها

٣٦ ويَـوْم حنـينٍ تداعَيْتُـمُ ... وقـد أبدتِ الحـربُ عـن نابِهـا

٣٧ ولمَّـا عـلاَ الحبـرُ أكفانـهُ ... هـوَى مَلَـكٌ بـيْنَ أثوابـِها

٣٨ فَمَهـلاً بنـي عَمِنـا إنَّهـا ... عطيـةُ ربٌّ حبَانـا بهـا

٣٩ وكانـتْ تُزلـزلُ فـي العالمـين ... فشـدَّتْ إلينـا بأطنابهـا

٤٠ وَأقْسِـمُ إنكـمُ تعلمـونَ ... بأنَّـا لهـا خيـرُ أربابـها

---

٢٩ – الزبون : هى الناقة التى تدفع برجلها عند الحلب .

٣٥ – المحل : الجدب .

٣٧ – الحبر : العالم الصالح .

٣٩ – الأطناب : جمع طنب : حبل يشد به سرادق البيت .

- ٢ -

طار نومي

١	طـار نومي وعـاود القلـبَ عيـدُ	وأبى لي الرقـادَ حـزنٌ شـديدُ
٢	جلَّ مابي ، وقلَّ صبْري ، ففي قلـ	ـبي جراحٌ وحشـوُ جَفْني السهودُ
٣	سـهرٌ يَفْتـق الجفـونَ ، ونيـرا	نٌ تلظـى ، قلبـي لهـنَّ وقـودُ
٤	لامنـي صاحبـي ، وقلبـي عميـدٌ	أيـن ممـا يريـدُهُ مـا أريـدُ
٥	شـيبتني ، ومـا يشـيِّبني السـ	ـن ، همـوم تَتْرى ، ودهـرٌ مريـدُ
٦	فتراني مثلَ الصحيفةِ قـد أخلَـ	ـصها عنـدَ صـقْلها ترديـدُ
٧	أين إخواني الألى كنتُ أصـفْيـ	ـهمْ ودادي ، وكلهـمْ لـي وَدودُ
٨	فلقد أصبحُوا ، وأصبحتُ منهم	كلِحـاءٍ اسْـتُلَّ منـه العـودُ
٩	هلْ لدُنيا قد أقبلتْ نحونـا دهـ	ـراً فصدَّتْ ، وليس منا صدُودُ
١٠	مَـن مُعـادٌ أم لا مُعـادَ لدينـا ،	فاسـْألُ عنها فكـلُّ شـيءٍ يبيـدُ
١١	ربمـا طـاف بالمدامِ علينـا	عسـكريٌّ كغصـنِ بـانٍ يميـدُ
١٢	أكْرَعُ الكرعةَ الرويَّةَ فـي الكـأ	س ، وطـرفي بطرفـهِ معقـودُ
١٣	أيها السائلي عن الحسَب الأطـ	ـيبِ ما فوقـه لخلـقٍ مزيـدُ
١٤	نحن آلُ الرسـول ، والعتـرةُ الحـ	ـقُّ وأهـلُ القُرْبى ، فمـاذا تريـدُ
١٥	ولنـا أضـاءَ صبـحٌ عليـه	وأتتـه آيـاتُ ليـلٍ سـُودُ

---

١ – العيد : ما اعتاد الانسان من مرض أو حزن أو هم ونحو ذلك .

٢ – السهود : السهاد والأرق .

٤ – العميد : المضنى من العشق .

٥ – المريد : العاتي .

٩ – اللحاء : قشر العود .

١٥ – العترة : ولد الرجل وذريته .

١٦ ومَلَكْنــاَ رقَّ الإمامــةِ ميــرا ثاً ، فمن ذا عنّا بفخْرٍ يحيدُ

١٧ وأبونــاَ حامــي النــبيِّ ، وقــد أد بَر مــن تعلمــونَ ، وهــو يــذُودُ

١٨ ذاكَ يومَ استَطارَ بالجمْع رَدْعٌ فــي حُنَــين ، والْوطيــسِ وَقــُودُ

١٩ كــان فيهــمْ منّــا الكُــاتمُ إيمــا نا ، وفرعــونُ غافــلٌ والجنــودُ

٢٠ رُسلُ القــومِ حــينَ لدُّوا جميعــاً غيــرهَ ، كيــف فُضــلَّ الـلــدُودُ

- ٣ -

غصون وأقمار

١ أى رســمٍ لآلِ هنــدٍ ودارِ درســاً غيــر ملعــبٍ ومَنــارِ

٢ وأثَــافٍ بقَــينَ ، لا لاشــتياق جَالِسات على فريســةِ نــاَرِ

٣ وعِراصٍ جرتْ عليها سَوارى الـ ـريحِ حتــى غـُودرْنَ كالأسـْطار

٤ ومغان ، كانت بها العيْن مـلأى من غصــونٍ تهتــز فــى أقمــارِ

٥ سحقتها الريــاحُ فــى كل فَنٍّ ، ومحتهــا بواكــرُ الأمطــارِ

٦ أين أهل الديارِ عهدى بكــم فيـ ـها جميعــاً ، لا أيـْنَ أينَ الديــارِ

٧ ولقد أهْتـدى علـى طـرُق الليـ ـل بذى منعــة ، كُمَيْت مُطــارِ

---

٢٠ - لدوا : خاصموا ، الملدود : المخاصم .

٢ - أثاف : أحجار ثلاثة توضع تحت القدر .

٣ - عراص : الواحدة عرصة ، الأرض الواسعة بين الدور ، سوارى الريح : الغيوم التى تسيرها الرياح ليلا .

٦ - اين الثانية بمعنى المكان .

٨ بلل الركضُ جانبَيه ، كما فـا ضَتْ بكفِّ النديم كأسُ العُقَارِ

٩ لا تَشيم البروقَ عينْني ولا أجْـ ـعلُ إلاّ إلى العدى أسْفاري

١٠ لا ولاَ أرْتجي نوالاً ، وهلْ تسـ ـتمْطِرِ الناسَ ديْمةُ الأمطارِ

١١ هاشميٌّ ، إذا نُسِبْتُ ، ومخصو صٌ ببيتٍ من هاشمٍ غيرِ عَارِ

١٢ أخزنُ الغيظَ في قلوب الأعادي وأحل الجبارَ دار الصغَارِ

١٣ ولِيَ الصافناتُ تردَي إلى المو تِ ، ولا تهْتدي سبيلَ الفَرارِ

١٤ وسيوفٌ كأنها حينَ هُزَّتْ ورق هزُّها سقُوطُ القِطارِ

١٥ ودروع كأنها شُمَطُ الجَعْـ ـد دهيناً ، تضلّ فيها المَدارِي

١٦ وسهامٌ تُرْدي الورى من بعيدٍ واقعاتٌ مواقعَ الأبْصارِ

١٧ وقُدودٌ كأنهن قرومٌ ، هدرتْ بيْنَ جلّةٍ وبكارِ

١٨ فوق نار شبعْي من الحطَب الجزْ ل ، إذا ما الْتَظتْ رمتْ بالشرارِ

١٩ فهي تعلو اليفاعَ كالراية الحمـ ـراءِ تفرِي الدجى إلى كلّ سارِ

٢٠ قد تردَّيتُ بالمكارم دَهراً وكفتْني نفسي من الافتخارِ

٢١ أنا جيشٌ إذا غدوتُ وحيداً ووحيدٌ في الجحْفلِ الجرَّارِ

١٣- الصافنات . الخيل التي تقوم علي ثلاث قوائم وتطوى الرابعة ، تردى : ترجم الأرض بحوافرها .

١٤- القطار : واحدها قطر ، المطر .

١٥- الشمط : ما خلط بياض رأسه سواده ، دهينا : مدهونا .

١٧- قروم : فحول ، جلة : النياق العظام .

نماذج من نقائض تميم بن المعتز

- ١ -

إذا فزع الشوق حب القلوب

١ (إذا فزَّع الشوقُ حبُّ القلوب)	كواهــــا بشــــدَّة تلهابهـــــا
٢ أرقتُ لبـرق أضاء الدُّجـُّونَ	وأذهـــبَ حُلكــــةَ أطنابِهـــــا
٣ ســرَى والدُّجنــةُ منشــورةٌ	فمـــزَّق أعـــلامَ أثوابهـــــا
٤ كــأن السـُّحاب بــه غــادة	مشـــوفة بـــين أترابهـــــا
٥ كأن البـروقَ سيوفُ الغمــام	إذا هزَّهــا ثــمَّ رامــى بهـــا
٦ ومنبجـسُ القَطــرْ متْــعَنْجِرٌ	جـــهيرُ الرواعـــدِ صَخَّابِهـــا
٧ كــأن يَعاليلـَـه فــى الصــبَّا	نشــاوى نَواشـــرُ أطرابِهـــا
٨ ســقَيْنَ عطــاش متـُون الربا	ويــردْن غُلــــةَ أقرابِهـــــا
٩ وأبديـْنَ تفويفَ بُسط الرياضِ	نَشــرْنَ أعـــلامَ زريابِهــــا
١٠ كــأن الشــقيقَ بأرجائهـــا	خــدودٌ تُنــتُ عقــدَ تَنْقابِهـــا
١١ فَعوجـا علــى أرَجٍ مُونــقٍ	أنيـــقِ الدســاكر معشـــابِها
١٢ نعـلل ما بـــين حــوْذاتها	وطيـــبِ ثراهــــا وتلْهابِهـــا
١٣ بصــفراءَ شـابتْ ولـمْ تحتلـمْ	وأنحــلَها طــــولُ أحقـــابِها

٤ - مشوفة : مزينة .

٦ - المثعنجر : السائل .

٧ - اليعاليل : جمع يعلول وهو السحاب الأبيض . الأطراب : نقاوة الرياصية .

٨ - الأقراب : جمع قرب وهى الخاصرة .

١٢ - الحوذان : نبات طيب الطعم له زهرة حمراء فى أصلها اصفرار ، ورقته مدورة .

١٤ سُلافٌ إذا انتَسبتْ للنَّديم غدا الكرم أوْكدَ أنسابِها

١٥ كأن السُّقاةَ لها يَقْسِمُون شُعاعَ الشموسِ لشُرَّابِها

١٦ تطوف علينا بها غَادة كأنَّ الضُّحى بين أثوابها

١٧ إذا سلَّطتْ سِحْرَ أجفانها دلالاً أشارتْ بعُنَّابِها

١٨ دعَانيِ فلستُ بمستَحْسنٍ لِطُرْق المجونِ وآدابِها

١٩ ألا قل لمنْ ضلَّ من هاشم ورامَ اللحوق بأربابِها

٢٠ أأوْسَاطُها مثلُ أطرافِها أأرؤسُها مثلُ أذنابِها

٢١ أعبَّاسُها كأبي حرْبِها عليٌّ وقاتلِ نصَّابِها

٢٢ وأولُها مؤمناً بالإلهِ وأولُ هادمِ أنْصَابِها

٢٣ بني هاشمٍ قدْ تعامْيتُمُ فخلُّوا المعَالي لأصحَابِها

٢٤ أعبَّاسكمْ كان سيفَ النبيِّ إذا أبدَتِ الحربُ عن نَابِها

٢٥ أعباسكم كان في بدْرِه يذودُ الكتائبَ عن غَابها

٢٦ أعباسكم قاتلُ المشركينَ جِهَاراً ومالكُ أسْلابِها

٢٧ أعباسكم كوصيِّ النبيِّ ومُعطي الرِّغابِ لطلابِها

٢٨ أعباسكم شَرَحَ المشكلاتِ وفتَّحَ مُقْفَلَ أبْوابِها

٢٩ عجيبٌ لمرتكِبٍ بغيَةً غويِّ المقالةِ كذابِها

٣٠ يقول فينظمُ زورَ الكلامِ ويحكُمُ تنميقَ إذْهَابِها

---

٢١ – النصاب: الذي ينصب نفسه لعمل لم ينصب له ، مثل من يدعي الرسالة وليس برسول .

٣٥ – ثياب النبي : يشير الشاعر الى قصة الكساء وما فعله النبي (ص) في المباهلة .

٣١ لكمْ حُرْمةٌ يابني بنْتهِ — ولكنْ بَنُو العمِّ أولى بها

٣٢ وكيفَ يحوزُ سهامَ البنينَ — بنو العمِّ أفٌّ لغُصابِها

٣٣ بذا أنزل اللهُ آىَ القرانِ — أتعمونَ عن نصٍّ إسهابِها

٣٤ لقد جارَ فى القولِ عبدُ الإله — وقاسَ المطاياَ بركابِها

٣٥ ونحن لَبِسْناَ ثيابَ النبىِّ — وأنتمْ جذَبتمْ بهدابِها

٣٦ ونحن بنوه ووُرَّاثه — وأهلُ الوراثةِ أولى بها

٣٧ وفيناَ الإمامةُ لافيكمُ — ونحنُ أحقُّ بجلْباَبِها

٣٨ ومنْ لكمُ يابَنى عمه — بمثلِ البتولِ وأنْجاَبِها

٣٩ وماَ لكمُ كوصىِّ النبىِّ — أبٌ فترامَوْا بنُشابِها

٤٠ ألسنَا لُبَابَ بنى هَاشمٍ — وساداتكُمْ عندَ نَساَبِها

٤١ ألسنا سبقنا لغاياتها — ألسنا ذهبنَا بأحْساَبِها

٤٢ بِناَ صلْتُم وبناَ طلْتمُ — وليسَ الولاةُ ككتاَبِها

٤٣ ولا تَسفَهوا أنفساً بالكذابِ — فذاكَ أشدُّ لإتْعاَبِها

٤٤ فأنتمْ كلحنِ قوافى الفخارِ — ونحنُ غدونا كإعرابِها

---

٣٨ – أنجبها : جمع نجيب ، ويريد أولادها النجباء .

- ٢ -

وساقية ترتمي بالحباب

١ وسـاقيةٍ ترتَمـى بالحبـاب ... وتبكـى لحـبٍّ أزاهيـرها
٢ جـرى دمعـُها جرْى دمْع المحبِّ ... وناحَـت بصـوْت نواعـيرها
٣ فأدمعـُها مـزْجُ أقـداحنا ... وريْحانُنـا نشـرُ كافـورِها
٤ لـدى روضـة حلْيُهـا نوْرُهـا ... حمـتها عُيـونُ نواطـيرِها
٥ إذا شـاقَنا رقـْمُ أعـْلامِها ... سـبتْنا عيـونُ يعـافيرِها
٦ تعيـد أديـمَ الضحَى مذْهـباً ... إذا لاحَ فـوقَ دنَانيـرِها
٧ وأحْسـَنُ مـن عَبـرات الغُيوم ... إذا قـذَفتْ بقـواريرِها
٨ وقـوفُ النـدَى فـوق محمـرِّها ... ونفـخُ الصـبَا فى مزاميرِها
٩ أطعْنـا الصبَّا فـى مواخيـرِها ... ونلْنـا المنـى فـى مقاصيرِها
١٠ وشـاطرةِ الـزيِّ مخطـوفةٍ ... إذا بـرَزتْ فـى زنَانيـرِها
١١ أدارتْ علينـا كـؤوسَ المـدام ... وتأثـيرُها فـوقَ تأثـيرِها
١٢ كـأنَّ لبانـة ألحاظـِها ... تحـاولُ بَسـْطَ معـاذيرِها
١٣ ولا خَيرْ فـى الراحِ إنْ لـمْ تُعِـنْ ... بسـقْمِ العُيـون وتفْتيـرِها
١٤ ومودعـة بطـنَ مُغْبـرَّةٍ ... تحـدّثُ عـنْ عهـدِ سـابورِها

---

٤ - النواطير : جمع ناطور وهو حارس الكرم .

٥ - اليعافير : جمع يعفور ، وهو الظبي بلون التراب .

١٠ - الشطارة : كلمة قيل أنها مولدة ، وكانت تطلق على أهل البطالة والخارجين عن سلطة آبائهم في الدولة العباسية . والشاطر : من أعيا أهله ومؤدبيه خبثا ومكرا ، وهو مأخوذ من شطرعنهم اذا نزح وتركهم مراغما أو مخالفا .

١٤ - سابور : ملك من ملوك الفرس يسمى سابور ذا الأكتاف .

١٥ حجْجنا إلى بيت خمّارِها — لنشرْبها في معاصيرِها

١٦ سلافٌ تسلّفَ منها الزمانُ — قذاها وأبقى على خيرِها

١٧ يقبّلُ منها النديمُ الصباحَ — ويَصبْغ كمَيْه من نوْرِها

١٨ فلا تعذرِ النفسَ في تركِها — فلستَ عليه بمعذورِها

١٩ وطاوٍ على حسدٍ كشحَهُ — قديمِ العداوة مشهورِها

٢٠ يُساء بكسْبى العُلا كلما — أغرْتُ بجودي على عيرِها

٢١ ويأملُ شأوي وهل يَقتدي — أميرُ المعالي كمأمورِها

٢٢ فإن تكُ هاشمُ قد عدّلتْ — منابتنا في عناصيرِها

٢٣ فما نستوي في الحِجا والنّدى — وطيُّ الأمورِ ومنشورِها

٢٤ دعُوا لي العُلا دونَ ساداتِكمْ — فإنّيَ سورٌ على سورِها

٢٥ وإنّيَ نَهضتُ بمكسورِها — وآنستُ وحشةَ مهجورِها

٢٦ وأنتمْ تَطُونَ ذُنابيَ العُلاَ — وتزْدحمونَ على زُورِها

٢٧ ملأتُ عيونَكُمُ بالغبار — فحسبُكُمُ مسحُ تعبيرِها

٢٨ ولا تطلبوا رتْبتي إنّني — ملأتُ السماء بتكْثيرِها

٢٩ ولا تفعَلوا فعلَ آبائكمْ — (فتخطُون خطْوي) بتطهيرِها

٣٠ ورثتُ سياسةَ (مهديِّها) — وحزتُ شجاعةَ (منصورِها)

٣١ ولم أنحرفْ عن سَجَايا (المعز) — وقائمِه يومَ تمزْيرِها

٣٢ ولم ألقَ من ناظري نظرةً — إلى منظرٍ غيرِ منظورِها

٣٣ ولم ترثُوا غيرَ أنسابِكمْ — ولكنْ ولعتمْ بتكديرِها

---

٢٠ – العير : الابل تحمل الميرة وقد استعارها للعلا .

٢٦ – تطون : أصلها تطئون والذنابى جمع ذنب وهو الذيل .

– ٣ –

« أى ربع لآل هند ودار »

١ جادكَ الغيثُ من محلّةِ دارِ ... وثوى فيكَ كلُّ غادٍ وسارِ

٢ حكمتْ بعد قاطنيك الليالى ... فى مغانى رُباك بالإقفارِ

٣ ورمتْكَ الخطوبُ منهمْ ببيْنٍ ... ورحيلِ القَطينِ موتُ الديارِ

٤ فاسقياها الدموعَ إن بخلَ الغيْـ ... ـثُ عنها بواكفٍ مدْرارِ

٥ ليس للدمع إن تأخر عذرٌ ... فدعاهُ فيها خليعُ العذارِ

٦ ياطلول اللوى غدوتِ رسوما ... دارساتِ الأعلامِ والأحجارِ

٧ بعد ما كنتِ مألَفَ العز والحُسْـ ... ـن وملْهى لأعينِ النُّظارِ

٨ وكذاكَ الزمانُ منقلبُ الحا ... لِ بينَ الإقبالِ والإدبارِ

٩ وخنوف عيرانةٍ عنتريسٍ ... عَيسجورٍ شمَلّةٍ مسيْارِ

١٠ تصل الوخْدَ بالزَّميلِ إذا ما ... خانَ أمثالُها بنى الأسفارِ

١١ من بناتِ الجديل وهى من السرْ ... عةِ معدودةٌ من الأطيارِ

١٢ أكلتْ لحم زوْرها دُلَجُ الليـ ... ـلِ ووصلُ الرواحِ بالإبكارِ

١٣ ترتمى مَجْهلَ المهامه منّى ... بقليلِ الكرى قليلِ الحذارِ

١٤ ببعيد المراد أصبحَ نضوَ الـ ... ـجسْمِ نِضْوَ السرورِ نضْوَ القرارِ

---

٩ – الخنوف : الناقة تميل إلى راكبها برأسها – العيرانة : التى تشبه العير فى سرعتها – العيسجور : الناقة السريعة القوية – الشملة : السريعة .

١٠ – الوخد : المشى السريع – الذميل : المشى اللين .

١١ – الجديل فحل شهير من إبل النعمان بن المنذر ملك الحيرة .

١٥ وحــرامٌ عــلىَّ كــل حــلالِ أو أُقَضِّــى مـن العُـلا أوْ طـَارى

١٦ يابنــى هاشــمٍ ولسْــنا ســواءً فــى صِغـارٍ مــن العُـلاَ أوْ كبارِ

١٧ إن نكــنْ نَنْتَمــى لجــدٍّ فإنــاً قــد ســبقْناكمُ لكــلِّ فَخــَار

١٨ ليــس عباسُــكمْ كمثــل علــىٍّ هــل تقــاسُ النجــومُ بالأقْمــارِ ؟

١٩ من لـه الفضـلُ والتقدّمُ فـى الاسْـ ـلام والنــاسُ شــيعَةَ الكفـَّارِ ؟

٢٠ مـن لـه الصـهرُ والمواسـاةُ والنصـ ـرةُ والحــربُ ترتَمــى بالشــرار ؟

٢١ مـن دعـاهُ النبــىُّ خدنـا ، وسمَّـا هُ أخــا فــى الخفــاْء والإظـهارِ ؟

٢٢ مـن لـه قـالَ أنـتَ منـّى كهـارو نَ وموسـَى أكــرِمْ بــهِ مــن نِجارِ

٢٣ ثـم يـومَ الغـديرِ مـا قـد علمتُمْ خَصـــّهُ دونَ ســـائرِ الحضـَّارِ

٢٤ مـن لـه قـال : لا فتــى كعَلــىٍّ لا ولا مُنْصَلٌ سـوى ذي الفقـَارِ ؟

٢٥ وبمــن باهــلَ النبــىُّ أأنتــمْ جهــلاءُ بواضــحِ الأخْبــار ؟

٢٦ أبعبــد الإلـــهِ أم بحُســـَينْ وأخيــهِ ســلالةِ الأطهـــارِ ؟

٢٧ يابنــى عمّنـا ظَلَمْتـُمْ وطـرْتمْ عن سبيل الإنصـافِ كـل مَطـارِ

٢٨ كيــف تحــوونَ بالأكــفِّ مكانـا لــم تنــالوا رؤيــاهُ بالأبصــَار

٢٩ مـن توطـَّا الفـراشَ يخـلفَ فيـه أبــداً وهــو نحــوْ يثــرب ســَارِ ؟

٣٠ أين كان العباسُ إذْ ذاكَ ؟ والهجـ ـرة أم فـى الفراش أم فـى الغـارِ ؟

٣١ ألكــم مثـل هــذه يابنــى العَبـ ـاس مأثــورةٌ مــن الآثــارِ

---

٢٤ – المنصل : السيف .

٢٥ – المباهلة : الملاعنة ويقصد الشاعر بها المباهلة التى وقعت بين رسول الله (ص) وأهل نجران وقد جاء الرسول فيها بالحسن والحسين وفاطمة تمشى خلفه وعلي خلفها وهو يقول لهم إن دعوت فأمنوا .

٣٢ ألكم حرمةٌ بعم رسـول الـ   ـلهِ ليستْ فيكُمُ بذاتِ تَوارِ
٣٣ ولنا حُرمةُ الـولادةِ والأعـ   ـمام والسبْق والهدى والمنارِ
٣٤ ولنا هجرةُ المهاجرِ قدْما   ولنا نصرةٌ من الأنْصارِ
٣٥ ولنا الصوْمُ والصلاةُ وبذل الـ   ـعُرف فى عُسْرِنا وفى الإيسارِ
٣٦ نحن أهلُ الكساء سادسُنا الرو   حُ أمينُ المهيْمنِ الجبّارِ
٣٧ نحن أهلُ التقَى وأهلُ المواسا   ةِ وأهلُ النوالِ والإيثارِ
٣٨ فدعُوا خطةَ العُلا لذويها   من بنى بيتِ أحمدَ الأبْرارِ
٣٩ أوْ فلُوموا الإلهَ فى أنْ برانَا   فوقكمْ ، واغضبُوا على المقْدارِ
٤٠ أجعلتمْ سقْىَ الحجيج كمن آ   مَن باللهِ مؤمناً (لا يدارى)
٤١ أو جعلتمْ نداءَ عبّاسَ فى الحرْ   بِ (وقد) فرَّعنْ لقاءِ الشِّفارِ
٤٢ كوقوف الوصىِّ فى غمْرة المو   ت لضرْب الرءوس تحتَ الغبارِ
٤٣ حين ولى صحْبُ النبىِّ فراراً   وهو يحمى النبىَّ عندَ الفرارِ
٤٤ وأسألوا يومَ خيبرٍ وأسألوا مكـ   ـةَ عن كرِّهِ على الفجّارِ
٤٥ وأسألوا يوم بدرَ مَنْ فارسُ الإسـ   ـلام فيه وطالبُ الأوتْارِ
٤٦ أسألوا كل غزوةٍ لرسولِ الـلـ   ـه عمنْ أغارَ كلُّ مَغارِ
٤٧ يابنى هاشم أليس علىٌّ   كاشفَ الكربِ والرّزايا الكبارِ

---

٤٠ – يعنى العباس بن عبد المطلب . فقد كان له سقاية الحجيج . وهى مرتبة سامية ويشرف من يتولاها .

٤١ – يريد يوم أخذ العباس بخطمة بغلة الرسول (ص) وقد فر المسلمون عنه يوم حنين وثبت الرسول (ص) هو والعباس وتفر من المهاجرين والأنصار وأخذ العباس يدعو الناس ليرجعوا إلى الرسول (ص) .

٤٨ فبمــاذا ملكتــمْ دوننـــا إرْ ثَ نبيٍّ الهدى بلا استظهارِ
٤٩ أبقــربى ؟ فنحــن أقــربُ للمــوْ روثِ منكــمْ ومــن مكــانِ الشّعارِ
٥٠ أم بــإرْثٍ ورثتمــوهُ ؟ فإنـــاً نحــن أهــل الآثــارِ والأخْطــارِ
٥١ لا تغطــوا بحيفــكمْ واضــحَ الحــقِّ فيفضــي بكــمْ لكــلِّ دمــارِ
٥٢ وأصــيخُوا لوقعــةٍ تمــلأ الأرْضَ عليــكمْ بجحْفــلٍ جــرّارِ
٥٣ تحــتَ أعلامــهِ مــن الفاطـميْـين أســودٌ تدمــي شــبَا الأظْفارِ
٥٤ فاصْدُروا عنْ مــوارد الملْك إنــاً نحنُ أهــلُ الإيــرادِ والإصْدارِ
٥٥ ولنــا العــزُّ والســموُّ عليكــمْ والمســاعي وقُطــبُ كــلُّ مــدارِ
٥٦ يابنيِ فاطــمٍ إلــى كــمْ أقيكــمْ بلســانيِ ومُنْصــلِي وانتصــارِي
٥٧ فخــذوهَا منــيّ نتيجــةَ فهــمٍ بــينَ حَــدٍّ الإقــلالِ والإكْثــارِ
٥٨ ســلمتْ مــن تعصــبٍ وغُلــوِّ وتَبَــرّتَ مــن ســوء كــلِّ اخــتيارِ
٥٩ غــيرَ أنّ البيــانَ يظهَــرُ فيــها ســاطعاً نــورُه بغــيْر اســتتارِ
٦٠ حُجــجٌ كلَّمــا تامــلّهَا العــاقــلُ بانــتْ لــهُ بيــانَ النهــارِ

المصادر والمراجع

أولاً : الدواوين :

١ – ديوان ابن المعتز ، بيروت ، ١٩٦١م .

٢ – ديوان الحماسة لأبى تمام ، شرح المرزوقى ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

٣ – ديوان الهاشميات .

٤ – ديوان تميم بن المعز ، تحقيق محمد حسن الأعظمى ، بيروت ١٩٧٠ .

ثانياً : الكتب والدراسات :

٥ – ابن المعتز العباسى ، دكتور أحمد كمال زكى ، سلسلة أعلام العرب ٣٦ .

٦ – اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء للمقريزى ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٩٦٧م .

٧ – أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، عز الدين بن الأثير ، القاهرة ، دار الشعب .

٨ – أصول الإسماعيلية ، بحث تاريخى فى نشأة الخلافة الفاطمية ، تأليف برنارد لويس ، ترجمة جاسم محمد رجب وآخرين ، دار الكتاب العربى ، القاهرة .

٩ – الاتجاه الواقعى فى الشعر العربى الحديث فى مصر ، دكتور ثابت محمد بدارى ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٧٩م .

١٠– الإصابة فى تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلانى ، تحقيق على محمد البجاوى ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٧١م .

١١ – الأغانى ، لأبى الفرج الأصفهانى ، دار الكتب ، القاهرة .

١٢ – الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية، يوسف بن إسماعيل النبهانى ، بيروت ، ١٣١٠هـ

١٣ - الأوراق للصولى .

١٤ - التشيع بين الاعتناق والتأثير فى شعر عمارة اليمنى ، بحث للمؤلف نشر مجلة كلية الآداب بسوهاج العدد الأول ١٩٧٨م .

١٥- الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، آدم متز (مترجم) ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

١٦ - الحلة السيراء لابن الأبار ، تحقيق د . حسين مؤنس ، الطبعة الأولى ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

١٧- الحياة والشاعر ، ستيفن سبندر ، ترجمة د . محمد مصطفى بدوى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة .

١٨ - الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، لأبى الحسن على بن بسام ، الجزء الأول .

١٩ - السيرة النبوية لابن هشام ، القسم الأول ، تحقيق د . مصطفى السقا .

٢٠ - الشيعة فى الميزان ، محمد جواد مغنية ، دار الشروق ، لبنان .

٢١ - الفتنة الكبرى ، الدكتور طه حسين ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨م .

٢٢ - الكامل للمبرد ، مطبعة صبيح ، القاهرة ، ١٣٣٧ هـ .

٢٣ - المعز لدين الله ، إبراهيم جلال ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .

٢٤ - النقد الأدبى الحديث ، د . محمد غنيمى هلال ، دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٧٩م .

٢٥ - النقد التطبيقى والمقارن ، د . محمد غنيمى هلال ، دار نهضة مصر ، القاهرة .

٢٦ - النقد النفسى عند إ. إ. ريتشاردز ، د . فايز إسكندر الأنجلو ، القاهرة .

٢٧ - تأويل الدعائم للنعمان بن محمد قاضى قضاة الخليفة المعز لدين الله الفاطمى ، تحقيق محمد حسن الأعظمى ، دار المعارف ، القاهرة .

٢٨ – تاريخ الطبرى ، الجزء التاسع ، الجزء العاشر ، دار المعارف ، القاهرة .

٢٩– تاريخ النقائض فى الشعر العربى ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٦م .

٣٠ – تميم بن المعز ، عبد المجيد عطية وآخرون ، والشركة العربية للتوزيع ، تونس ، ١٩٧٧ .

٣١ – تميم بن المعـز لدين الله الفـاطمى ، د . حـفنى شـرف ، المجلس الأعلى للشـئـون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

٣٢– جرير ونقائضه مع شعراء عصره ، د . محمد عبد العزيز الكفراوى ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٨م .

٣٣ – جمهرة خطب العرب ، أحمد زكى صفوت ، مكتبة الحلبى ، القاهرة ١٩٦٢م .

٣٤– زهر الآداب وثمر الألباب ، الحصرى القيروانى ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٣م .

٣٥ – شرح ديوان الأخطل ، دار الثقافة ، ١٩٦٨م .

٣٦ – شرح نهج البلاغة لابن حديد ، المجلد الثالث .

٣٧ – شعراء النصرانية بعد الإسلام ، القسم الثانى .

٣٨– شعر ابن المعتز ، يونس أحمد السامرائى ، رسالة دكتوراه كلية الآداب جامعة عين شمس ، ١٩٧٣م .

٣٩– صبح الأعشى فى صناعة الإنشا للقلقشندى ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، القاهرة ، ١٩٦٣م.

٤٠ – عبد الله بن المعتز العباسى ، حياته وإنتاجه ، د . محمد عبد العزيز والكفراوى سلسلة فى الأدب والنقد ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

٤١ – فلسفة الالتزام فى النقد الأدبى ، بين النظرية والتطبيق ، د . رجاء عيد ، دار الثقافة للطباعة ، النشر ، القاهرة ، ١٩٧٥م .

٤٢ – مروج الذهب للمسعودى ، الجزء الثالث .

٤٣ – مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، لابن فضل الله العمرى .

٤٤ – مقاتل الطالبيين ، لأبى الفرج الأصفهانى ، القاهرة ، ١٩٣٩ .

٤٥– نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنا عشرية ، أحمد محمود صبحى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩م.

ثالثاً : المصادر والمراجع المساعدة :

٤٦ – النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة لابن تغرى بردى .

٤٧ – فى أدب مصر الفاطمية د . محمد كامل حسين .

٤٨– الحياة الفكرية والأدبية بمصر من الفتح العربى حتى آخر الدولة الفاطمية ، د . محمد كامل حسين .

٤٩ – عبقرية الفاطميين ، محمد حسن الأعظمى .

٥٠ – الكامل فى التاريخ لابن الأثير .

٥١ – نزهة الألبا فى طبقات الأدبا ، ابن الأنبارى .

٥٢ – وفيات الأعيان ، ابن خلكان .

٥٣ – العمدة فى صناعة الشعر ونقده ، ابن رشيق .

٥٤ – تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء ، الصابى .

٥٥ – أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجانى .

٥٦ – العقد الفريد ، لابن عبد ربه .

٥٧ – الموشح ، المرزبانى .

٥٨ – تجارب الأمم جـ١ ، لابن مسكويه .

٥٩ – البديع ، لابن المعتز .

٦٠ – نهاية الأرب ، للنويرى .

٦١ – معجم الأدباء ، ياقوت الحموى .

٦٢ – معجم البلدان ، ياقوت الحموى .

٦٣ – طبقات الشعراء ، ابن المعتز .

٦٤ – دائرة المعارف الإسلامية .

٦٥ – يتيمة الدهر ، للثعالبى .

٦٦ – المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار ، للمقريزى .

٦٧ – حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، السيوطى .

٦٨ – الديارات ، للشابشتى .

٦٩ – تاريخ الشعر السياسى إلى منتصف القرن الثانى ، أحمد الشايب .

٧٠ – الصلة بين التصوف والشيعة ، د . كامل مصطفى .

٧١ – اعتقاد أهل السنة والجماعة ، الشيخ عدى بن سافر الأموى .

٧٢ – أصل الشيعة وأصولها ، الإمام محمد الحسين آل كاشف العطاء .

٧٣ – من حديث الشعر والنثر ، الدكتور طه حسين .

٧٤ – ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان ، د . محمد عبد المنعم خفاجى .

٧٥ – عبد الله بن المعتز ، عبد العزيز سيد الأهل .

* * *

وبعد : فالشكر لله أولاً وأخيراً ومن تمام الشكر له والعرفان بفضله والوفاء لكل من مد يده بالعون فى إنجاز هذا العمل المتواضع وأخص بالشكر : زميلى الدكتور سالم عياد المدرس بكلية التربية جامعة عين شمس على مراجعة هذا البحث مراجعة متأنية .

كما أشكر زميلى الدكتور ثابت بدارى والدكتور إبراهيم شعلان والزميلة الآنسة ماجدة السمالوطى المعيدة بكلية التربية بأسيوط . وصديقى الأستاذ محمود مراد الموجه المالى بجنوب القاهرة التعليمية .

وتلاميذى : الشاعر الواعد سعد عبد الرحمن ، والأستاذين مصطفى رجب وعثمان القاضى المعيدين بجامعة أسيوط .

المؤلـف

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
الإهداء :	٣
المقدمة :	٥
التمهيد : (مصادر البحث) .	٩
ديوان تميم بن المعز ١٢ ، ديوان ابن المعتز ١٥	
مصادر أخرى	١٦
الفصل الأول : أدب النقائض بين الشكل والمضمون .	١٩
فنون المباريات الأدبية :	٢١
المساجلة ٢٢ ، المطارحة ٢٢ ، المعارضة ٢٣	
النقائض	٢٤
النقائض وأدب الصراع السياسى والمذهبى :	٢٦
فى الشعر الجاهلى ٢٦ ، فى صدر الإسلام ٢٦	
فى العصر الأموى ٢٧ ، فى العصر العباسى ٢٨	
الفصل الثانى : شاعران ومذهبان :	٣١
العباسيون والعلويون :	٣٣
النسب ٣٣ ، العلاقة بينهما فى خلافة على ٣٣	
بعد موقعتى الجمل وصفين ٣٣ ، أثناء الدعوة العباسية ٣٤	
بعد قيام الخلافة العباسية ٣٤ ، فى عهد المأمون ٣٤	

الموضوع	الصفحة

بين الشاعرين : ٣٥

أدباء المشرق والمغرب ٣٥ ، تشبه تميم بابن المعتز ٣٦

سنية ابن المعتز : ٤٢

ابن المعتز والخلافة ٤٢ ، ابن المعتز وخلفاء بنى العباس ٤٤

تشيع تميم : ٤٧

تميم والخلافة ٤٨ ، تميم والخلفاء الفاطميون ٥٠

الفصل الثالث : محاور الهجوم والدفاع : ٥٧

محك النزاع : ٥٩

موقف الشاعرين من الخلافة الأموية ٥٩

صراع ابن المعتز وتميم حول الخلافة ٦١

وسائل التفاخر : ٦٧

الفخر الذاتى ٦٧ ، الفخر بالانتماء ٧٠ : (الانتماء إلى هاشم ٧٠)

الانتماء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ٧١

الانتماء إلى العباس بن عبد المطلب ٧٢

الانتماء إلى على بن أبى طالب ٧٧

الانتماء إلى الدولة العباسية ٨١

الانتماء إلى الدولة الفاطمية ٨٢

طرائق الهجوم ٨٣ ، أسلوب المعتز في الهجوم ٨٣ ، أسلوب تميم فى الهجوم ٨٨

الموضوع	الصفحة

الفصل الرابع : بوتقة الاختبار : ٨٩

السمات العامة ٩١ : من حيث الرؤيـة المعاصرة ٩١ ، الدوافع ٩١

المحل ٩٢ ، الوسائل ٩٢ ، الشكل ٩٣

القارس والموقعة ٩٤

مقارنة موقف الشاعرين بمذهبيهما السياسى ٩٥

التعبير الشعرى ٩٩ : التجربة ٩٩ ، البناء الفنى ١٠٢

الصورة الشعرية ١٠٥ ، اللغة ١٠٩ ، الموسيقى ١٠٩

الفصل الخامس : نماذج من نقائض الشاعرين ١١٣

نماذج من نقائض ابن المعتز : ١١٥

ألسنة كالسيوف ١١٥ ، طار نومى ١١٨ ، غصون فى أقمار ١١٩

نماذج من نقائض تميم : ١٢١

إذا فزع الشوق حب القلوب ١٢١ ، وساقية ترتمى بالحباب ١٢٤

أى ربع لآل هند ودار ١٢٦

المصادر والمراجع ١٣١

رقم الإيداع	٩٢ / ٤٣٠٨
الترقيم الدولى	I.S.B.N. 977 - 00 - 3348 - 0

١٦ / ٩١ / ٣

جولدن ستار للطباعة


قرش جنيه
٠ ٤٫٥٠